إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

الحقيقة المحمدية



سالم رحيم معله

كرار حكيم داخل



https://www.alexir.org

https://www.facebook.com/ixirbook

https://t.me/ixirbook

بسم اللّه الرحمن الرحيم

((يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى اللّه بإذنه وسراجا منيرا)):

سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥ و ٤٦

الإهداء

إلى مقام رسول الله العظيم وآله الطيبين الطاهرين

إلى العلماء الذين حملوا شريعة رسول الله وقد بثوها إلى الأجيال بأمانة وقد بذلوا الغالي والنفيس في ذلك

إلى شيعة أمير المؤمنين الذين تمسكوا بوصية رسول الله ولم يحيدوا عن سنته وشريعته السمحاء

إلى الشهداء الذين أرخصوا دماءهم ليسقوا شجرة الإسلام

إلى شهداء العراق الذين بذلوا نفوسهم هدية لريحانة رسول الله الحسين الشهيد

إلى أرواح شهداء ثورة أكتوبر لا سيما شهداء الناصرية الفيحاء الذين خرجوا يطالبون بحقهم امتثالا لقول رسول الله: أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر

نهدي هذه الصفحات المشرقة بنور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونرجو منه القبول والنظرة بعين الرحمة إنه جواد كريم...

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وأودع فيه الطاقات والقابليات التي يصل بها إلى أعلى مدارج الكمال والفضيلة، وبذلك يكون خليفة الله في أرضه. والإنسان في طبيعته ومع وجود الشهوات و الصراع بين العقل والنفس ومع البلاء والتمحيص فإنه قد يتوقف عن الرقي في مدارج الكمال و لذا خلق الله تعالى أكمل الخلق وأول الخلق وأعلى الخلق الطهر الطاهر والبحر الزاخر البشير النذير السراج المنير المسمى في السماء بأحمد وفي الأرض بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون رسولا من الله ودالا عليه وعلامة على قدرته وعظيم خلقه وصنعه وأسوة وقدوة حسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا.

وشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ما تتضمنه من الكمال ومجمع الفضائل والمكارم وما أثرت هذه الشخصية في التأريخ الإنساني وما تركته من بصمات واضحة في جميع أرجاء المعمورة؛ لذا تسابق المؤلفون والكتّاب والباحثون لتناول هذه الشخصية بالبحث والدراسة ليكن لهم نورا يستضيئون به وعلما يهتدون به. بيّد أن أغلب الدراسات والكتب المؤلفة كانت تنصب بصورة رئيسية على السيرة النبوية مؤرخة لمولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومتابعة لسيرته في مسقط رأسه

مكة المكرمة مرورا ببعثته وتثبيت أركان دولته وغزواته في المدينة المنورة. وبهذا يكون الكلام تكرارا لما كتب المؤرخون. والكتب المؤلفة بين مختصر ومطول ولعل كتاب الصحيح من سيرة الرسول الأعظم للسيد جعفر العاملي الذي يقع في خمس وثلاثين مجلدا أوسع الكتب في السيرة.

ولعل الكتب التي تناولت مسيرة روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الأشباح وعالم الذر تكاد تكون نادرة ؛ لذا جاء هذا الكتاب بصفحاته القليلة مبينا لهذه المسيرة العظمى وذاكرا لإعجاز شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ذكر عظمته في موارد ذكره في الشريعة الإسلامية والفقه لا سيما في باب العبادات لما لها من أثر في تهذيب النفس ورفع درجات التكامل.

وكتبنا هذا الكتاب بثلاثة فصول:

الفصل الأول: خلق روح رسول الله وبدنه وعصمته:

وهذا الفصل يمثل ركيزة البحث إذ أنه بحث في معنى الروح، وبيان خلق روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتحانه في عالم الذر، ونبوته في هذا العالم، واصطفائه في عالم الظلال، وخلق بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأختتم الفصل بمبحث تكامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد العصمة، مع بيان معنى العصمة ومراتبها.

الفصل الثاني: إعجاز شخصية رسول الله:

وتمثل الإعجاز في شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جوانب كثيرة، تعرضنا منها لإعجازه النفسي المتمثل بعبادته وزهده وأخلاقه. وإعجاز الشخصية في عظمة الشريعة الإسلامية، مع بيان سمو التعاليم الإسلامية وخلودها، وإعجاز شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عظمة أصحابه والمثال الناصح والعظيم لذلك نفس رسول الله ووصيه وناصره وزوج ابنته مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الفصل الثالث: موارد ذكر رسول الله في الفقه:

وقد كتب هذا الفصل الشيخ الأستاذ كرار حكيم داخل الشمري، وتناول فيه موارد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفقه وفي باب العبادات تحديدا، معتمدا على منهاج السيد الخوئي، ابتداء بكتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الصوم، وانتهاء بكتاب الخمس.

وكانت مصادر الكتاب متنوعة بين كتب الحديث، و العقائد، والتفسير والفقه واللغة، وكان الحظ الأوفر من المصادر للسيد الشهيد محمد الصدر، والشيخ محمد السند وغيرهم.

والحمد لله أولا وآخر، ونسأل من الله ورسول وأهل بيته القبول والتوفيق، وإن يكون هذا العمل ذخرا لنا في الدنيا والآخرة.

الفصل الأول: خلق روح رسول اللّه

- ما هي الروح؟
- خلق روح رسول اللّه
- رسول اللّه في عالم الذر
- اصطفاء رسول اللّه في عالم الظلال
- خلق بدن رسول اللّه
- معراج رسول اللّه
- تكامل رسول اللّه بعد العصمة

الفصل الأول: خلق روح رسول اللّه وبدنه

توطئة:

معرفة الحقيقة المحمدية منوط بمعرفة كيفية خلق روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه أول من خلق الله تعالى في عالم الإمكان ونوره هو الصادر الأول عنه تعالى كما يعبر ذلك في علم الفلسفة، و هو علة ما به الوجود[١] لذا معنى الروح وخلقها وهل هي مخلوق مادي؟ وكيف ترتبط بالبدن؟ و سنذكر أمثلة من الروايات عن خلق روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلق بدنه، وروح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الذر مع بيان معنى عالم الذر، وكيف أمتحن الله رسوله في ذلك العالم، وأخذ ميثاق نبوته على جميع الأنبياء عليهم السلام، و ختم الكلام بعصمته وتكامله، مع بيان أدلة العصمة ومراتبها. ونختم الفصل إن شاء الله تعالى بالكلام عن الذنوب الدقّيّة

---

[١] _ منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد الشهيد محمد الصدر: ١/ ٥٦٢.

ما هي الروح؟

من الأفضل أن يكون البحث عن الروح قرآنيا وروائيا، من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ((**و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا**)) (الإسراء ٨٥)، قال شيخ الطائفة الطوسي في تعريف الروح هي: (**جسم رقيق هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة**)[٢] و قد جمع الطبرسي الأقوال التي تعرضت لبيان ماهية الروح إذ قال: (**واختلف العلماء في ماهية الروح، فقيل: إنه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان، وهو مذهب أكثر المتكلمين، واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه. وقيل: جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة ــ عن علي بن عيسى قال: فلكل حيوان روح وبدن... وقيل: إن الروح عرض، ثم اختلف فيه، فقيل : هو الحياة التي يتهيأ به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين، وقيل: هو معنى في القلب ــ عن الأسواري. وقيل : إن الروح الإنسان، وهو الحي المكلف ــ عن ابن الأخشد والنظام. وقال بعض العلماء: إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء:من جوهر النور، والطيب، والبقاء، والحياة، والعلم، والعلو، ألا**

[٢]ــ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٦/ ٥١٥.

ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين، ويسمع بالأذنين، ويكون طيبا، فإذا خرج من الجسد نتن الجسد، ويكون باقيا، فإذا فارقه الروح بلى وفنى، ويكون حيا وبخروجها يكون ميتا، ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا، ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء : ((بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين)) وأجسامهم قد بليت في التراب.)[٣]. ويلاحظ أن جميع التعريفات السابقة ناظرة لآثار الروح في البدن والحياة، وليس في التعريفات بيان لجوهر الروح وحقيقتها وماهيتها. ومع ذلك يبقى معنى الروح ومعرفة تفاصيلها سر من الإسرار لا يستحق معرفته إلا ذو حظ عظيم.

وعليه يمكن تعريف الروح بحسب فهمنا بأنها: مخلوق غير مادي خارج عن نطاق الزمان والمكان، من أثاره الطاقة النورانية، ، وبذلك يكون الدماغ وسيلة لعمل الروح، كما تجتمع فيها كثير من المعنويات والمشاعر كالعلم والحب والبغض وغيرها، وتتفاوت من شخص لأخر كلاً بحسب خلقه. والعقل والضمير والإحساس كلها من سنخ وقوى الروح.

وبهذه التعريف تكون الروح من سنخ عالم الأمر، لأن (من) في قوله تعالى : **((قل الروح من أمر ربي))** تكون لبيان الجنس، وأمره تعالى هو قوله للشيء: كن، فيكون وهي كلمة الإيجاد لكن لا من كل جهة بل من جهة استناده إلى الله تبارك وتعالى. وبذلك يكون أمره تعالى

[٣]_ مجمع البيان في تفسير القران، الشيخ الطبرسي: ٦/ ٢٢٠.

المختص به لا تتوسط الأسباب فيه، ولا يتقدر بزمان أو مكان وغير ذلك[٤]، وبذلك تكون الروح وجود أرفع من نشأة المادة وظرف الزمان، وبذلك بحسب وجودها تكون من سنخ الأمر من الملكوت. و بذلك فأن الروح لها بناء يختلف عن بناء المادة، ولها أصول تحكمها عن الأصول التي تحكم المادة في خواصها الفيزيائية والكيميائية[٥] ومن هنا فليس تعلق الروح بجسم الإنسان من نوع الحلول، وإنما هي نوع من الارتباط والعلاقة القائمة على أساس حاكمية الروح على الجسم وتصرفها وتحكمها به، حيث يشبهها البعض بعلاقة تعلق المعنى وارتباطه باللفظ[٦]

وإن الروح من سنخ عالم اللاهوت، فقد قسموا العوالم إلى أربعة: **(عالم الناسوت الذي هو عالم المادة، وعالم الملكوت الذي هو عالم النفوس، وعالم الجبروت الذي هو عالم العقول، وعالم اللاهوت الذي هو عالم الأرواح. وعالم الناسوت عالم مادي لا قيمة له، فتبقى العوالم الثلاثة الأخرى كلها للنفس، فحينما نلغي المادة أو نغض النظر عنه يكون عالم الملكوت هو عالم النفس الأمارة بالسوء التي نأكل ونمشي ونحس ونمارس شهواتنا خلالها، وكل ذلك من عمل النفس الملكوتية، ثم**

---

[٤] _ ينظر: الميزان في تفسير القران، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٩٤/١٣.
[٥] _ ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وآخرون: ١٠٩/٩.
[٦] _ينظر: المصدر نفسه: ١١٤/٩.

العقل الجبروتي الذي هو من سنخ عالم الجبروت، ثم الروح المحجوبة التي هي من عالم اللاهوت)[٧]

ومعرفة الإنسان لروحه تكون تابعة لقوة روحه ودرجة خلقها وعليتها، فكلما كانت الأرواح من الدرجة الأولى ومن المراتب العليا فأنه صاحبها يعرفها قبل أن يكون جنينا، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**إن تلك الأرواح من العظمة والأهمية والتركيز بحيث لا تختلف عن فتحها والتعرف عليها من حلولها في الجسد وهو جنين، بخلاف** سائر **الأرواح التي تكون أضعف من هذا المستوى بقليل أو بكثير. فتلك الأرواح التي تكون أدنى، يكون السلوك إليها، معقولا، وأما هذه الأرواح العظيمة والمركزة فتنفتح دون سلوك)**[٨] وهذا المعنى معروف لدى أهل الذوق والمعرفة من أن بعض الأفراد الاعتياديين يصلون لمعرفة أرواحهم دون سلوك، ويكون وصولهم فطريا، وقد يعبرون عنهم بأنهم مجذبون، ويكون هذا المعنى أوضح لدى المعصومين عليهم السلام، كيف لا ؟ وهو ممكن للبشر الاعتياديين[٩]

ولإرتباط الروح بالجسم عن طريق الحواس والدماغ، يطرح سؤال: هل أن الدماغ هو وسيلة عمل للروح أم أنه هو الروح؟

---

[٧] ـ منة المنان في الدفاع عن القران: ٣٦٦/٢.
[٨] ـ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر: ٨٢ ـ ٨٣.
[٩] ـ ينظر: المصدر نفسه: الهامش رقم ١ ، ٨٣.

و جواب السؤال في تفسير الأمثل ونصه: (**إن جميع الأدلة التي ذكرها الماديون تثبت وجود الارتباط بين خلايا العقل والدماغ وبين إدراكاتنا، إلا أن أيا منها لا يثبت أن الدماغ بقوم بالإدراك، بل أنه مجرد وسيلة لذلك. وهنا يتضح لماذا لا يفهم الموتى شيئا، إذ أنهم وبسبب عدم وجود الارتباط بين الروح والبدن يعجزون عن ذلك، وبالتالي فإن الموت لا يعني فناء الروح وانعدامها، ومثل الميت مثل السفينة أو الطائرة التي عطل فيها جهاز اتصالها (اللاسلكي) فالسفينة والطائرة بمن فيها موجودون إلا أن اتصالهم مع الساحل أو المطار مقطوع بسبب فقدانهم لوسيلة الارتباط والاتصال**)[١٠] وقوله: (الموتى لا يفهمون شيئا) مردود لأن الموتى لهم إدراك وشعور وحضور في عالم الدنيا غاية الأمر أنهم لا يسمح لهم بالحياة مجددا.

وبعضهم جعل من الروح هي المرحلة العليا لتكامل المادة نتيجة للحركة الجوهرية وبذلك فإن الروح موجود غير مرئي. قال السيد الشهيد محمد باقر الصدر ناقلا عن صدر المتألهين ومبينا لرأيه: (**وجد تفسير الإنسان على أساس العنصرين الروحي والمادي تصميمه الأفضل على يد الفيلسوف الإسلامي (صدر المتألهين الشيرازي)، فقد اكتشف هذا الفيلسوف الكبير حركة جوهرية في صميم الطبيعة، هي الرصيد الأعمق لكل الحركات الطارئة المحسوسة التي تزخر بها الطبيعة، وهذه الحركة الجوهرية هي الجسر الذي كشفه الشيرازي بين المادة والروح؛ فإن**

١٠_ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١٧/٩.

المادة في حركتها الجوهرية تتكامل في وجودها، وتستمر في تكاملها حتى تتجرد من ماديتها ضمن شروط معينة، وتصبح كائنا غير مادي، أي: كائنا روحيا فليس بين المادي و الروحي حدود فاصلة، بل هما درجتان من درجات الوجود والروح بالرغم من أنها ليست مادية ذات نسب مادي؛ لأنها المرحلة العليا لتكامل المادة في حركتها الجوهرية) [١١]. وهذا لا يعني أن الروح نتاج للمادة وأثر من آثارها، بل هي نتاج للحركة الجوهرية، والحركة الجوهرية لا تنتج من نفس المادة؛ لأن حركة كل مادة هي خروج من القوة إلى الفعل تدريجيا، والقوة لا تصنع الفعل، فالحركة الجوهرية سببها خارج نطاق المادة المتحركة، والروح هي الجانب غير المادي من الإنسان نتيجة لتلك الحركة، أما الحركة فهي الجسر بين المادية والروحية، وبذلك يكون الفرق بين المادية والروحية درجة واحدة فقط، كالفرق بين الحرارة الشديدة والحرارة الأقل منها درجة[١٢]

وبعد هذا البيان يمكن أن نفهم مدلول الروايات التي تتكلم عن الروح ومثال ذلك ما جاء في أصول الكافي : **(عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل : ((ونفخت فيه من روحي)) (الحجر: ٢٩) كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمي روحا لأنه اشتق من الريح ، وإنما أخرجه عن لفظ الريح، لأن الأرواح مجانسة للريح، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه**

---

[١١] ــ فلسفتنا، السيد محمد باقر الصدر: ٤٤٣.

[١٢] ــ ينظر: فلسفتنا: ٤٤٤.

على سائر الأرواح، كما قال لبيت من البيوت: بيتي، ولرسول من الرسل: خليلي، وأشباه ذلك، وكل مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر)[١٣] و الرواية ناظرة إلى طبيعة خلق الروح وأنها من الله تعالى إي من أمر الله، مع ذكر سبب تسميتها بأنها مشتقة من الريح لأنها لها القدرة على الحركة والتنقل.

ومن الروايات التي تكلمت عن الروح رواية كميل قال: **(سألت مولانا أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن تعرّفني نفسي. قال: يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرفك؟ قلت: يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة ؟ قال: يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكليّة الإلهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان: فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة، ومربية. ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد. والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم، وذوق، ولمس، ولها خاصيتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب: والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة. وليس لها انبعاث، وهي أشبه بالنفوس الفلكية، ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة. والكلية الإلهية لها خمس قوى: بهاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذلّ، وفقر في غنى، وصبر في بلاء، ولها خاصيتان: الرضا والتسليم،وهذه هي التي مبدؤها من الله وإليه تعود، قال الله تعالى:**

---

[١٣]_ أصول الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٩٦.

((ونفخت فيه من روحي))(الحجر: ٢٩) وقال تعالى: ((يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية))(الفجر: ٢٧ــ ٢٨) و العقل في وسط الكل)[١٤]. الرواية تبين قوى الروح مع الكلام عن البدن وقواه التي تحركها الروح ولها بها ارتباط وثيق. وقد علق السيد الشهيد محمد الصدر عن هذه الرواية وعن معنى الروح فيها قائلا: **(قال المحقق السبزواري (قدس سره) في منظومته: (النفس في وحدتها كل القوى). فهي واحدة وفي عين الوقت متعددة. خذ مثلا ما يسمى بالسكنجبيل فإنه واحد إلا أنه مركب من الخل والسكر وهكذا. وللنفس طاقات صاعدة ونازلة لو صح التعبير كثيرة جدا ولا تحصى. وإما هذه النفوس الأربعة التي أشار إليها مولى المتقين (عليه السلام) إنما هو باعتبار تغير النشآت للنفس الواحدة فإن لكل نشأة روح تناسبها وقد سبق أن عرفت تعدد النشآت إلى أربعة: الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت فكذلك الروح. والأساس هو وصول الإنسان إلى النفس العليا والأخيرة. أو قل: انفتاحها له أو قل: وجوده في عالمها ونشأتها عندئذ يرى ما لا عين رأت ويسمع ما لا أذن سمعن ويعرف ما لم يخطر على قلب بشر)**[١٥]

---

[١٤] ــ سلوا أمير المؤمنين من ردت له الشمس فصلى، أبو الفضل الكاشاني: ٣٠ ــ ٣١.

[١٥] ــ قناديل العارفين، مراسلات بين السيد الشهيد محمد الصدر والشيخ محمد اليعقوبي: ٢٥٢.

خلق روح رسول اللّه:

روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي أعلى وأقوى وأنور وأول موجود، والتي تسمى باصطلاح أهل المعرفة (الحقيقة المحمدية)[١٦] **(إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم)هو أول الخلق، أي: الصادر الأول والوجود الأعلى في الكون كله، أي: بحسب روحه الحقيقية ونوره الأصلي، بل من نوره خلقت السماوات والأرض)**[١٧]

وسنذكر بعض روايات خلق روح رسول الله، و من ذلك ما جاء في أصول الكافي باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته: **(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمد : إني خلقتك وعليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري فلم تزل تهلّلني و تمجدني ، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجدني وتقدسني وتهلّلني ، ثم قسمتهما ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان ، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتداها روحا بلا بدن ، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا)**[١٨]

---

[١٦] ـ ينظر: منة المنان في الدفاع عن القران: ٣٢٩/٢.
[١٧] ـ المصدر نفسه
[١٨] _أصول الكافي: ٣٣٤/١.

يلاحظ أن الرواية حديث قدسي ينقله الإمام الصادق عليه السلام مع تعليق الإمام عليه؛ لذا ذيل الرواية قوله: (ثم خلق الله فاطمة...) ليس من الحديث القدسي إنما هو كلام الإمام . وهذه الرواية وثيقة مهمة لبيان خلق روح رسول الله صلى الله عليه و آله والتي عبّر عنها الله تعالى بأنها : (نورا) وفسرها الإمام بقوله:(يعني روحا بلا بدن) _ وسنأتي على خلق بدن رسول الله إن شاء الله تعالى _ و خلق الإمام علي عليه السلام مع روح رسول الله تؤيده آية المباهلة : (أنفسنا و أنفسكم) فهو نفس رسول الله لذا جمع الله روحيهما معا ليمجدان الله ويقدسانه ويهلّلانه، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**هو أن عليا نفس محمد ولكن ليس بالمنازل المتدنية. فهما في الدنيا اثنان، وفي الآخرة كذلك اثنان، وإنما هما نور واحد في قمة عالية جدا، وظاهر الكتاب والسنة مكرس على الاثنينية تقريبا، فلذا ورد أنه نام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه وصي رسول الله، ونحو ذلك من الأمور. فكل هذه الأمور تدعم بوضوح وصراحة الاثنينية، وإنما هي اثنينية في عالمها. إذن فعلي عليه السلام فيه جهتان: جهة استقلالية، وجهة فنائية في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد حاز في كل جهة شيئا من المميزات، فمثلا أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنك تسمع ما أسمع، وترى ما ترى) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما عرف الله إلا أنا وأنت)، فإنه باعتبار الجهة الفنائية والعينية**)[١٩] وقوله: (إنما هما في قمة

---

[١٩] _ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٣٨ ــ ٣٩.

عالية) تعبير عن وجود خارج عن حدود الدنيا والآخرة، وهو وجود أعلى من الدنيا والآخرة ويتميز بأنه وجود نوراني عالي[٢٠] و (**كلما صعدت درجات التكامل قلّ الأفراد، كأنما كل مجموعة تتداخل في شخص واحد، ثم المرتبة الثانية أيضا تتداخل في شخص واحد على شكل هرمي إلى أن يلتقون بأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أعلى الوجودات، وهو وجود محمد وعلي عليهما السلام سوية**)[٢١]

وهذا ما تؤيده روايات أخرى أن أول من وحد الله تعالى هو رسول الله. وتعبير الحديث القدسي بحرف العطف ثم يدل على الترتيب والتراخي أي بعد خلق هذه الروح التي مكثت وقتا غير معروف حينها قسم الله الروح (النور) وخلق الله منه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. أما خلق روح الزهراء فاطمة عليها السلام فهي من نور ابتداه الله تعالى أي أبتدعه نورا منفردا كنور رسول الله وهذه خصوصية لها. وقوله : (ثم مسحنا بيمنه ...) كلام عن خلق الأئمة من ذرية الحسين ابتداءً من الإمام السجاد وانتهاءً بالإمام المهدي عليهم السلام جميعا. و أفضلية رسول الله تعالى متعلقة بحكمة الله تعالى، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**إنه اقتضت الحكمة الأزلية خلق الكون بشكل هرمي، فكلما صعدنا قلّ العدد، و كلما نزلنا ازداد، ولذلك لضبط العلل العليا في الكون وترتيبه، فنحن نؤمن بالصادر الأول، لأن مقتضى الحكمة وجوده. فالمهم أن تلك**

[٢٠] ـ ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: الهامش رقم ٤.
[٢١] ـ ينظر: منة المنان في الدفاع عن القران: ٢/ ٢٥٨.

الموجودات الأولى والعليا هي أرواح المعصومين عليهم السلام وهي أفضل الخلق لأنها الأقرب في تسلسل العلل إلى الله سبحانه، وهي الفاعلة في الكون، فكان مقتضى الحكمة تطهيرها لمنعها من الخيانة، رحمة بها ورحمة بمعلولاتها ونتائجها)[٢٢]

وهنا يطرح السيد الشهيد محمد الصدر سؤالا : لماذا خلق الله تعالى روحا ذات ردائة عالية لتبطئ بالجواب ؟ و أجاب عن ذلك بجوابين[٢٣]:

الأول: لو تنزلنا عن الهرمية، نقول إن عالم الإمكان عبارة عن علل ومعلولات متدرجة، فكل موجود مادي وروحي في أي عالم من العوالم ، يخلقه الله تعالى بحسب عليته وبمقتضى صفات عليته، وكل علة توجد بمقدار ما تستحقه.

الثاني: إن الله تعالى يخلق كل الاحتمالات، كشخص طويل وآخر قصير، وشخص أبيض وآخر أسمر وهكذا، ولا يكون اثنان في نفس الشكل بالضبط، فلا بدّ من الاختلاف كثيرا أو قليلا، بفرق جسدي أو نفسي أو عقلي. وحينئذ نقول: إنه أبرز قدرته في أن خلق البعض وجعل جانب الخير فيه كثيرا، وكذلك خلق البعض وجعل جانب الخير وجانب الشر متساويين، وخلق البعض جانب الشر فيه كثيرا، فلا بدّ أن توجد كل هذه الاحتمالات. فكانت النتيجة اختلفوا في سرعة الجواب في عالم الميثاق.

---

٢٢ _ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٦٦.

٢٣ _ المصدر نفسه :٦٦ ــ ٦٧.

ولعظمة هذا النور وخلق الروح بهذا السبق قبل خلق إي شيء في عالم الإمكان جُعل رسول الله قرينا لله تعالى في الطاعة، وما ذلك إلا كرامة من الله تعالى وفضل من الله عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا ذكر في أصول الكافي كذلك الرواية: **(عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أني خلقتك ولم تك شيئا ، ونفخت فيك من روحي كرامة مني أكرمتك بها حين أوجبت لك الطاعة على خلقي جميعا ، فمن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني و أوجبت ذلك في علي وفي نسله ، ممن اختصصته منهم لنفسي)**[٢٤] ويلاحظ أن رواية الإمام الباقر عليه السلام ما هي إلا نقل لحديث قدسي إذ أن الله تعالى تفضل بخلق رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، وما حباه من كرامة جعلها للأمير المؤمنين عليه السلام وذرية وهم جميعا قد أختصهم الله تعالى لنفسه دون سائر الخلق.

وهناك رواية رواها الشيخ الصدوق في الخصال وهي خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من تفصيل ونص الرواية: **(عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلق السماوات و الأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل خلق آدم ونوح وإبراهيم**

٢٤_ أصول الكافي: ١/ ٣٣٤.

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان. وكل من قال الله عز و جل في قوله ((ووهبنا له إسحاق ويعقوب)) إلى قوله: ((وهديناه إلى صراط مستقيم)) وقبل خلق الأنبياء كلهم بأربع مئة وأربع وعشرين ألف سنة.

وخلق الله عز وجل معه أثني عشر حجابا، حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة.

ثم حبس نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنه وهو يقول: سبحان ربي الأعلى. وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السر. وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو. وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان الرفيع الأعلى. وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يسهو. وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو غني لا يفقر. وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ربي الأعلى الكريم. وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: سبحان رب العرش العظيم. وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان رب العزة عما يصفون. وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: سبحان

ذي الملك والملكوت. وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول: سبحان الله وبحمده. وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده.

ثم اظهر عز وجل اسمه على اللوح، وكان اللوح منورا أربعة آلاف سنة، ثم أظهره على العرش، فكان على ساق العرش مثبتا سبعة آلاف سنة،إلى أن وضعه الله عز و جل في صلب آدم ، ثم نقله من صلب آدم إلى صلب نوح ثم جعل يخرجه من صلب إلى صلب حتى أخرجه من صلب عبد الله بن عبد المطلب. فأكرمه بست كرامات: ألبسه قميص الرضا و ردّاه رداء الهيبة و توجه تاج الهداية و ألبسه سراويل المعرفة وجعل تَكته المحبة يشد بها سراويله و جعل نعله الخوف و ناوله عصى المنزلة.

ثم قال الله عز وجل له: يا محمد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

و كان أصل ذلك القميص في ستة أشياء: قامته من الياقوت وكمأه من اللؤلؤ، و دخريصة من البلور الأصفر وابطاه من الزبرجد، وجريانه من المرجان الأحمر، وجبينه من نور الرب جل جلاله. فقبل الله توبة آدم بذلك القميص ورد خاتم سليمان به ورد يوسف إلى يعقوب به ونجا

يونس من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء نجاهم من المحن به. ولم يكن ذلك القميص إلا قميص محمد صلى الله عليه و آله وسلم)[٢٥]

هذه الرواية بسندها عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام على طولها ناظرة إلى خلق نور رسول الله وهي مبينة لأربعة مراحل:

الأولى: خلق نور رسول الله قبل خلق الأنبياء.

الثانية: حبس نور رسول الله في حجب تتعداها اثنا عشر حجابا، ابتداءً من حجاب القدرة وانتهاءً بحجاب الشفاعة.

الثالثة: إظهار اسم رسول الله على اللوح ثم ساق العرش.

الرابعة: انتقال رسول الله من صلب آدم مرورا بأصلاب الأنبياء إلى عبد الله بن عبد المطلب.

ثم تكلمت الرواية عن خلق قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنويا وماديا، وجميع الأنبياء لبسوه للنجاة من المحن التي تعرضوا لها.

ويلاحظ أن المرحلة الثانية وهي حبس نور رسول الله في الحجب الأثني عشر، تمدد تنازليا في الحجاب الأول حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وانتهاءً بالحجاب الثاني عشر حجاب الشفاعة ألف سنة، و كل حجاب له اسم خاص به ذكرته الرواية وورد خاص به يقوله رسول الله

---

[٢٥] _ الخصال، الشيخ الصدوق: ٢/ ٤٨١.

صلى الله عليه و آله وسلم، و لعل هناك مناسبة بين الورد والحجاب و كذا مناسبة مع اسم الحجاب و الوقت بآلاف السنين.

كل ذلك فيه أسرار، ولا يمكننا فهم الرواية بعمقها وأسرارها، وقد علق السيد الشهيد محمد الصدر على هذه الرواية بعد ذكرها بقوله: (**أقول: وفي هذا الحديث الجليل أسرار جليلة لابدّ من إيكال علمها إلى الله سبحانه والراسخين في العلم، و حسبنا فيه ما يدل على عظمة صفات رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ارتفاع شأنه، وعلو منزلته صلى الله عليه وآله وسلم**)[٢٦]

و لأن خلق رسول الله وأهل بيته كان أول الخلق فإن الخلق خُلق بهم فهم وسائط الفيض الإلهي لخلق الكون والموجودات الحية وغير الحية، ونجد بيان ذلك مفصلا في رواية عبد الله بن مسعود عن أبيه إذ قال : **(دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يا رسول الله أرني الحق حتى أتبعه. فقال: يا ابن مسعود لج إلى المخدع . فولجت ، فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام راكعا ساجدا وهو يقول عقيب صلاته: اللهم بحرمة محمد عبدك ورسولك، أغفر للخاطئين من شيعتي. قال ابن مسعود: فخرجت لأخبر رسول الله بذلك، فوجدته راكعا ساجدا وهو يقول: اللهم بحرمة عبدك علي أغفر للعاصين من أمتي. قال ابن مسعود : فأخذني الهلع حتى غشي عليّ. فرفع النبي رأسه، وقال:**

---

[٢٦]_ ما وراء الفقه، السيد الشهيد محمد الصدر : ٦/ ٧٢.

أكفرا بعد إيمان ؟ فقلت: معاذ الله ولكني رأيت عليا يسأل الله تعالى بك، و أنت تسأل الله تعالى به. فقال: يا ابن مسعود إن الله تعالى خلقني وعليا والحسن والحسين من نور عظمته قبل الخلق بألفي عام، حين لا تسبيح و لا تقديس، و فتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، و أنا أفضل من السماوات والأرض. وفتق من نور علي فخلق منه العرش والكرسي، وعلي أفضل من العرش والكرسي. وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم ، والحسن أجل من اللوح والقلم. وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين أفضل منها، فأظلمت المشارق والمغارب ، فشكت الملائكة إلى الله عز وجل ، وقالت: اللهم بحق هؤلاء الأشباح الذين خلقت إلا ما فرجت عنا من هذه الظلمة. فخلق الله روحا وقرنها بأخرى ، فخلق منهما نورا، ثم أضاف النور إلى الروح ، فخلق منهما الزهراء عليها السلام فمن ذلك سميت الزهراء، فأضاء منها المشرق والمغرب. يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة، يقول الله عز وجل لي ولعلي: أدخلا الجنة من شئتما ، و أدخلا النار من شئتما ، وذلك قوله تعالى : ((في جنهم كل كفار عنيد)) فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من عاند عليا و أهل بيته وشيعته)[٢٧]

هذه الرواية بينت خلق رسول الله و أهل بيته وما خلق منهم في الكون كخلق السماوات والأرض والعرش واللوح والقلم و الجنان وحور العين وهذه أمثلة وليست للحصر، والراوي ابن مسعود كان مرتابا في فضل رسول الله

[٢٧] _ مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني: ١/ ٥٢٨ _ ٥٢٩.

و فضل أمير المؤمنين لذلك غشي عليه عندما رآه يدعو الله تعالى بحرمة الآخر، و كأن الرجل كان يعيش عقيدة الوهابية في عدم التوسل وهذا يمثل الكفر بعينه لذا ردّ عليه رسول الله : أكفرا بعد إيمان ؟ والتقدير: أكفرت كفرا بعد أيضا. وحتى يزيل عنه رسول الله ذلك الارتياب حدثه ببدء الخلق و الذي بيّن سبق خلق رسول الله وأهل بيته بأكثر من ألفي عام ، ولسنا نعلم هي هذه الأعوام بحساب سنين الدنيا أو بحساب سنين الآخرة؛ لذا قد نجد في روايات أخرى اختلافا في أرقام الروايات ولعل هذا هو السبب. وخلق الزهراء فاطمة عليها السلام بنور خاص و الذي جعل من خلقها مشكاة تضيء السماوات والأرض وتزيل الظلمة يتفق مع الرواية الأولى التي ذكرها ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي و هذا يبين اتفاق الروايات وهو طريق لصحة الرواية و صدقها. وذيل الرواية يتناول يوم القيامة ويعرض لقطة من لقطات الآخرة وأن الله تعالى يخاطب رسوله محمدا ووصيه عليا بأنهما مخولان ليدخلا الجنة من يشاءان ويدخلان النار من يشاءان وهو تأويل للآية الرابعة من سورة ق ، فالكافر من جحد نبوة النبي والمعاند من عاند عليا وأهل بيته وشيعته، و نهاية الآية متناسق مع بدايتها. وعندما ذكرت الرواية توسل الملائكة بالأشباح وهي نور رسول الله و أهل بيته واستجاب الله لهم ببركة هذا التوسل إنما هو درس عملي لجعلهم مقدمة الدعاء وافتتاحه وهذا ما أكدته الروايات المستفيضة الأخرى.

وبيّن الإمام الباقر عليه السلام معنى الأشباح عندما سأله جابر **(قال جابر بن يزيد: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر: إن الله أول ما**

خلق خلقَ محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله ، قلت: وما الأشباح ؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيدا بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته ولذلك خلقهم حلماء، علماء، أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلون الصلوات ويحجون و يصومون)[٢٨] فهذه تؤكد مضمون الروايات السابقة في خلق الأرواح وبيان روح القدس، وهناك روايات أكثر تفصيلا في بيان الروح وأنواعها ونصها: **(عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره،فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب و أتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتقل روح القدس فصار إلى الإمام ، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به.)** [٢٩] وهذا لا يعني أن هناك عدة أرواح لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بل هي روح واحدة ولكن لها قوى متعددة عبر عنها في الرواية بأنها أرواح إلا روح القدس

---

[٢٨] _ أصول الكافي: ١/ ٣٣٥.

[٢٩] _ المصدر نفسه.

التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله وأولياءه، وروح القدس هي (**الروح الموكلة من قبل الله تعالى بتعليم الأنبياء وجملة من الأوصياء وبعض الأولياء وتسديدهم، وهي من أعلى الأرواح بين الأرواح التي هي من المغيبات، فإن تلك الروح العالية، مرتبتها في السماء الرابعة أو الثالثة (على اختلاف التفاسير) ... فيصير التعبير روح القدس فما فوقه من الأرواح مودعة في المعصومين، وهذا يبين قدرات الأرواح أو القوى الموجودة في المعصوم تختلف عن بعضها البعض**) [٣٠]

وهذه الرواية تؤكد حقيقة النبي أنه بشر مثلنا ولكن يوحى إليه ، وهذا ما صرح به القران الكريم في نهاية سورة الكهف قال تعالى : ((**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**))

---

[٣٠] ــ أبحاث عامة في النبوات، الشيخ محمد السند: ٢٥٤.

فاطمة روح محمد:

و نحن نتكلم عن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحسن بنا أن نتكلم باختصار شديد عن الحديث المشهور: (**فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ**)[31]. ولأن هذا الحديث من الأسرار التي لا يعلمها إلا أهلها، لذا سنكتفي بما قاله السيد الشهيد محمد الصدر: (**وهي الزهراء سلام الله عليها أيضا روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، روح رسول الله التي بين جنبيه كما ينص الخبر الذي سمعناه، ولكن ما هي روح رسول الله ؟ وما أوصافها؟ هذا أيضا مما يستحيل لنا التوصل إلى حقيقته، لكننا حين نقول كما هو المسلّم لدى المسلمين والمتشرعة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير الخلق على الإطلاق، وهو فعلا خير الخلق على الإطلاق، فليس ذلك جسده ووجهه وعينيه مثلا أو أي شيء لا. بالرغم من أهميتها وطهارتها وإنما تلك الروح العليا التي هي أعلى المخلوقات. وأول المخلوقات، وأهمها، وأقواها، وأعلمها، وأقربها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي خير الخلق أجمعين بما فيها الأنبياء والمعصومون والملائكة وكل شيء آخر... وإذا الزهراء سلام الله عليها هي قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي روحه التي بين**

---

[31] ـ أعلام الهداية فاطمة الزهراء، المجمع العالمي لأهل البيت: ٣/ ٢٨. وينظر: مصادر العامة التي نقلها المصدر نفسه.

جنبيه، إذن يصدق بكل وضوح أن من أحبها فقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبغضها فقد أبغضه...)[٣٢]

وروح فاطمة الزهراء تأتي في الرتبة الثالثة في هرم الوجود بعد أبيها رسول الله وبعلها أمير المؤمنين، وكما تقدم ذلك في أن الإمام عليا نفس رسول الله وقد بيناه هناك من جانب النور والمرتبة العليا، كذلك هنا المطلب مع فاطمة الزهراء.

[٣٢] ـ دستور الصدر مجموع خطب الجمع التي ألقاها الشهيد الصدر في مسجد الكوفة العلوي الأعظم، السيد الشهيد محمد الصدر: ٢١٠ ـ ٢١١.

رسول الله في عالم الذر:

وردت روايات كثيرة حول عالم الذر، فقد ورد في تفسير البرهان ٣٧ رواية، وفي تفسير نور الثقلين وردت ٣٠ رواية، وبملاحظة الاختلاف فيها فقد يصل مجموع الروايات إلى ٤٠ رواية، وأغلبها منقولة عن زرارة، وبعضها عن صالح بن سهل، وبعضها عن أبي بصير و بعضها عن عبد الله بن سنان ، فإذا كان الراوي واحد والمضمون متحد فهي بحكم الرواية الواحدة، وعليه قد تتضاءل نسبة الروايات وتبلغ ما بين ١٠ إلى ٢٠ رواية[٣٣]

وللذر أحد المعنيين:

الأول: حين خلق الله آدم ظهر أبناؤه على صورة الذر إلى أخر نسل له من البشر، وكان لهم عقل وشعور فخاطبهم الله فأجابوه.

الثاني: إن عالم الذر هو عالم الاستعداد وعهد الفطرة والتكوين، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات، وهم نطف كالذر، وهبهم الله الاستعداد لتقبل التوحيد والإيمان بالله تعالى، وهذا ما يعبر عنه علماء النفس بـ (الشعور الديني)[٣٤] وفي كلا الرأيين مناقشات وردود و المعنى الأول هو لسان الروايات.

---

[٣٣] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٨٨/٥.

[٣٤] ينظر: المصدر نفسه.

و قد تكلم المفسرون عن عالم الذر والعهد الأول عند تفسيرهم للآية ١٧٢ من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: **((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين))**. وقد كانت أقوالهم بين تأييد للرأي الأول أو الثاني. وقد أضيف رأي ثالث مختصره أن الله تعالى عنى جماعة من ذرية آدم، خلقهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسنة رسله بمعرفته وطاعته، فأقروا بذلك[٣٥] ويرد على هذا الرأي بأنه الآية مطلقة تشمل جميع بني آدم ولا يوجد دليل على تخصيص جماعة دون غيرهم. وليس غرض الكتاب الخوض في هذا البحث فمن شاء فليرجع للتفاسير وليرى أقوالهم وإشكالاتهم وردها. أما رأي السيد الشهيد محمد الصدر فهو الرأي الأول ويؤيد ذلك قوله: **(وقد ورد في القرآن الكريم: (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة) الذي يدل على أن آدم عليه السلام كان موجودا هو وذريته لا بأجسامهم بل بأرواحهم، والله تعالى كشف لآدم ذريته إلى يوم القيامة دفعة واحدة)**[٣٦] وما يهمنا هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت له الأسبقية في الخلق أيضا كان أول من أجاب في عالم الذر.

جاء في أصول الكافي: **(عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**

٣٥_ ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٩٠

٣٦_ منة المنان في الدفاع عن القرآن: ١/ ٥٦٧.

: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربي و أول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز و جل)[٣٧] الرواية كاشفة عن أفضلية رسول الله على جميع الخلق بما فيهم الأنبياء لأنه كان أسبقهم بالإقرار بالله عز وجل. ولم يكن الجواب في زمن واحد، وفي رتبة واحدة، فكلما كان السوء في الإنسان أكثر كان جوابه أبطأ، والعكس صحيح فكلما كان خيره أكثر كان جوابه أسرع. وأول من بادر بالجواب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام ثم الأمثل فالأمثل[٣٨] وروح رسول الله العليا هي نفسها في الدنيا، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (... **أن ننظر إلى درجة وجود أرواحهم وأنوارهم العليا، فوجودهم أعلى وأقرب إلى الله سبحانه من الناحية التكوينية والمعنوية، لأنهم خير الخلق، وهم العلل العليا للكون بالأسلوب الهرمي الذي ذكرناه، فإذا نظرنا إلى تلك الدرجة، نجد أن تلك المرتبة العالية من الله تعالى لا بدّ وأن تكون منزهة من الذنوب والعيوب والقصور والتقصير مهما كان ضعيفا أو قليلا)**[٣٩].

و بذلك فإن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلى الأرواح وأقربها لله تعالى من الناحية التكوينية والمعنوية؛ لذا حظي بمقامات غير متناهية.

٣٧_ أصول الكافي: ٤٢٨/٢.

٣٨_ ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين : ٦٦.

٣٩_ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٨١ ــ ٨٢.

امتحان رسول الله في عالم الذر:

تعرض رسول الله في عالم الذر للاختبار فصبر وظفر، ونظير ذلك في زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ جاء فيها عن الإمام الهادي عليه السلام قوله: (**السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك ، وكنت لما امتحنك به صابرة، ونحن لك أولياء مصدقون...**)[40] ولكن الزيارة لم تبين ماهية الامتحان الإلهي الذي تعرضت له السيدة فاطمة و إنما أخبرت عن نتيجة ذلك بأنها كانت صابرة، والأئمة عليهم السلام يشهدون لها بذلك وكذلك يشهد لها جميع المؤمنين الذين يقرؤون هذه الزيارة. قال الشيخ التبريزي: (**لعل الامتحان راجع إلى عالم الذر، وخلق الأرواح في الصور المثالية قبل خلق البدن**)[41]، وبعض العلماء ذكر أن الامتحان جرى في مقام العلم وبيان ذلك: (**أن الامتحان يتم من العالم بنفس المعلوم قبل أن توجد المعلومة خارج نطاق العلم، ولذلك مثال يتضح به الأمر مثلا، ربما الزارع يريد أن يزرع بذورا أو نمطا من الزرع في أرضية صالحة حينئذ يصب هذا الزارع معلوماته حول أنواع وأنماط الزرع ضمن عالم المعلومات الذي يختزنه في ذهنه فحينئذ يقلب الموازنة يمنة ويسرى ويفاضل بين البذور وأنواع الزرع، وأيها الصالح ومنها الطالح مع أن تلك البذور لم تستحصل في الخارج وفي عين التراب إلا من خلال ما يمتلكه من معلومات وعلم ويقارن ويمتحن ويقدم**

---

[40] ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ٨٩.
[41] ـ صراط النجاة: ٢/ مسألة ١٧٥٨.

ويؤخر في ضمن موازنة علمية دقيقة... فالانتجاب الإلهي والاصطفاء الإلهي يصب في نفس معنى الامتحان، ويتم في صعيد الامتحان الإلهي إذن الامتحان يكون في الصعيد العلمي لأن الله عالم بكل المغيبات وبكل المستقبليات ويرسم نظامه، وسننه، وأنواع مشيئته وقضاءه)[٤٢]

أما امتحان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الأسرار الإلهية التي لم تكشف، وإن وجدت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام فهو من باب المثال والتقريب وليس من باب الحصر، نذكرها بتمامها : **(عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إني لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش، فأغتم لذلك غما شديدا،وأرى من خالفنا فأراه حسن السمت. قال: لا تقل حسن السمت، فإن السمت سمت الطريق ولكن قل حسن السيماء، فإن الله عز وجل يقول: ((سيماهم في وجوههم من أثر السجود)). قال: قلت: فأراه حسن السيماء وله وقار فأغتم لذلك، قال: لا تغتم لما ترى من نزق أصحابك ، ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك ، إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين، ثم فرقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقا بإذني، فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى، وقال لأهل الشمال: كونوا خلقا بإذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج، ثم رفع لهم نارا فقال: أدخلوها بإذني، فكان أول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتبعه أولو العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم، ثم قال**

---

[٤٢] ـ عوالم الإنسان ومنازله العقل العملي وقضاياه، الشيخ محمد السند: ٢٠٦.

لأصحاب الشمال: ادخلوها بإذني، فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين: اخرجوا بإذني من النار، لم تكلم النار منهم كلما، ولم تؤثر فيهم أثرا، فلما رآهم أصحاب الشمال، قالوا: ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا وأمرنا بالدخول، قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلما دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا: يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا، فأمرهم بالدخول ثلاثا، كل ذلك يعصون ويرجعون، وأمر أولئك ثلاثا كل ذلك يطيعون ويرجعون، فقال لهم: كونوا طينا بأني فخلق منه آدم، قال: فمن كان من هولاء لا يكون من هولاء، ومن كان من هولاء لا يكون من هولاء، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فمما أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطخ أصحاب اليمين)[٤٣]، هذه الرواية وإن كانت تمثل حوارا بين الراوي عبد الله بن سنان وبين الإمام الصادق عليه السلام وهي تذكر مشهد من مشاهد عالم الذر والذي يمثل اختبارا إلهيا تعرض له الخلق من ذرية آدم، وقد قسموا على قسمين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، إلا أن ما يهمنا فيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من أطاع الله تعالى ونفذ أمره، وهذا يعني أن الامتحان الإلهي كان لبيان طاعة الله تعالى وامتثال أوامره.

٤٣_ أصول الكافي: ٤٢٨/٢ ــ ٤٢٩.

نبوة رسول الله في عالم الذر:

إن رسول الله كان أول الفائزين بكرامة الله تعالى ، لذا أخذ الله تعالى في عالم الذر الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به وأن ينصروه، قال تعالى : ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**)) (آل عمران: ٨١)) قال الطبرسي في تفسير هذه الآية : (**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) العامل فيه محذوف، وتقديره: واذكر إذ أخذ الله، وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله: (وإذ قالت الملائكة) وري عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وقتادة: أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه)**[٤٤] وهذه الآية رسالة القرآن الكريم عبر الحديث عن الأنبياء، وكيف أن الله تعالى أخذ منهم الميثاق والعهد، بأن يصدق بعضهم ببعض، وأن ينصر بعضهم بعضا وبالتالي ألاّ يتفرقوا في الدين بأي شكل من أشكال التفرقة[٤٥] والتأكيد على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لبيان عظمته وهيمنته على جميع الأنبياء والرسل وأن شريعته هي الشريعة التي يريدها الله تعالى لجميع البشرية في جميع الأزمان والأماكن.

---

[٤٤] _ مجمع البيان في تفسير القران: ٢/ ٢٦٩.

[٤٥] _ ينظر: من هدي القران، السيد محمد تقي المدرسي: ٤٢٩/١.

و رسول الله أفضل الرسل، لذا سننقل أحاديثا عن كتاب حق اليقين في أصول الدين للسيد عبد الله شبر قال: **(يجب الإيمان بأن نبينا وآله المعصومين أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذلك وتواترها فيما هنالك قال صلى الله عليه وآله : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وقال: (أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع ومشفع) وقال: (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيين) وقال: (آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة) وقال: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) وقال: (أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا) وقال : (نحن الآخرون السابقون) وقال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)...**)[٤٦] وقوله: (أنا نبي وآدم بين الماء والطين) حديث رواه العامة والخاصة، وهو أشهر من أن يذكر وهذا الحديث يؤكد نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس كما يزعم البعض من أنه أوتي النبوة وهو في الأربعين من عمره الشريف، نعم في هذا العمر كان بدء نزول الوحي و التبليغ لعامة البشرية. وهذا يعد من مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم، وكل مختصاته خير، بل هي غير متناهية، قال السيد الشهيد محمد الصدر: **(وخاصة إن علمنا أن الكوثر**

٤٦_ حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر: ١٤٩/١.

من مختصات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل مختصاته خير كثير، بل إن كل صفاته كوثر من مصاديق الكوثر، وقد عرفنا أنها معانٍ غير متناهية)[٤٧] وما هذه المختصات إلا بسبب روحه العالية التي هي في أحسن تقويم، لأن مزاياها لم تعط للملائكة فضلا عن غيرهم، وبها وصل النبي في المعراج إلى محل لم يستطع جبريل عليه السلام أن يصل إليه[٤٨]

[٤٧] _ منة المنان في الدفاع عن القرآن: ١/ ٢٠٩.
[٤٨] _ ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣١٩.

اصطفاء رسول الله في عالم الظلال:

عالم الظلال ذكر في قوله تعالى : ((**ولله يسجد من في السماوات و الأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو و الآصال**)) (**الرعد: ١٥**)، وقد بيّن المفسرون معنى الظلال، من ذلك الشيخ الطوسي إذ قال : (**و الظلال جمع ظل وهو ستر الشخص ما بإزائه، والظل و الظليل هو ستر الشمس اللازم، و أما الفيء فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه، ومنه الظلة، لأنها ساترة، والظل والظلال مثل زق و زقاق**)[٤٩] و لسجود الظل لله تعالى معاني منها: (**أن سجود الظلال بما فيها من تغير الذلة التي تدعو إلى صانع غير مصنوع له العزة والقدرة. والثاني: قيل سجود الظل لأنه يقصر بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها، وذلك من آيات الله الدالة عليه، والسجود هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذلة لمن وضع له**)[٥٠]

وهذا الفهم لمعنى السجود فيه مناقشات منها[٥١]

أولا : ما في الأرض له ظل، أما السماوات فليس لها ظل، ذلك أن الظل ناتج من نور الشمس، ولسنا نعلم حال سكان السماوات من هذه الناحية، إذا علمنا أن نسبة الأرض إلى السماوات نسبة ضئيلة جدا، والضمير في

---

[٤٩] _ التبيان في تفسير القران: ٦/ ٢٣٦.
[٥٠] _ المصدر نفسه: ٦/ ٢٣٤ ــ ٢٣٥.
[٥١] _ ينظر: ما وراء الفقه، السيد الشهيد محمد الصدر: ٦/ ٧٥ ــ ٧٦.

قوله تعالى : ((وظلالهم)) ليس خاصا بسكان الأرض، وإنما يشمل السماوات كذلك.

الثاني: إن نسبة وجود الظل في الأرض إلى ما لا ظل له كثير جدا، ففي الليل لا يوجد أي ظل وكذلك تحت السقوف ونحو ذلك مما يحجب ضوء الشمس لا يوجد ظل لما تحتها، في حين أن ظاهر الآية الكريمة وجود الظل لكل ما في السماوات والأرض.

أما عالم الظلال فله عدة تفسيرات أهمها تفسيران[٥٢]

الأول: أنه عالم مشابه لعالمنا هذا، لكنه يختلف عنه بأنه أدنى مرتبة منه وأقل شرفا، فكل جسم له ظل يمشي معه ويستقر معه، كما أن لكل جسم حي له روح، إلا عالم الروح أعلى شرفا من عالم الأجسام وعالم الظلال أدنى منه.

الثاني: إن العالم الظلال هو عالمنا نفسه هذا لكن التعبير مختلف، وبذلك يكون منظورا إليه فانيا في الله عز و جل و صورة قدرته، فهو إشراقه من اشراقاته وظل من ظلاله.

واصطفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التفسير الأول لعالم الظلال يعني اصطفاءه في العالم الأدنى، فضلا عن العالم الأعلى، وكأن المقصود أنه صلى الله عليه وآله وسلم مصطفى في كافة العوالم وليس في العالم العلوي فحسب.

---

[٥٢] _ ينظر: ما وراء الفقه: ٦/ ٧٤ ــ ٧٥.

وأما على التفسير الثاني لعالم الظلال فمعناه: أن الاصطفاء كان في العالم الأعلى و الأشرف وعليه فأنه يسري أثره إلى العالم الأدنى، لأن معنى العلو والشرف المعنوي هو الهيمنة والسيطرة على كل ما تحته(٥٣)

٥٣_ ينظر: ما وراء الفقه : ٦/ ٧٥.

خلق بدن رسول اللّه:

عندما أراد الله خلق آدم وذريته خلقهم من طين كما أخبر بذلك قال تعالى: **((هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون))** (الأنعام: ٢) وقال تعالى: **((الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين))** (السجدة: ٧) ، وهذا الخلق من طين يختلف عن خلق إبليس و الجن إذ خلقوا من نار، وظن إبليس أن النار خير من الطين، قال تعالى : **((قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين))** (ص: ٧٦).

وخلق آدم من طين لا يعني أنه من طينة واحدة، بل طين مزيج من تراب الأرض من سهولها وعذبها وسبخها، قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتكلم عن صفة خلق آدم : **(ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت. فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معلوم وأمد معلوم. ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجليها وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجونا بطينة**

الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلّة والجمود والمساءة والسرور)[٥٤]

أما خلق بدن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم وكذا أهل بيته فلم يكن من طين، وإنما كان خلق أبدانهم من عليين ومن الجنة، وهذه منقبة وفضيلة تضاف لفضائل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم غير المتناهية. وطينة أبدانهم لم تكن من طين الأرض و إنما من طينة مخزونة تحت العرش، قال الإمام الصادق عليه السلام : **(إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا. وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء ولذلك صرنا نحن وهم : الناس، وصار سائر الناس همج ، للنار وإلى النار)**[٥٥]. و التعبير عن الطينة بأنها مخزونة مكنونة يدل عن أسر رباني ونور إلهي فيها، لذا صارت مادة لخلق أبدان أهل البيت عليهم السلام، والطينة التي أسفل منها لشيعتهم ولسائر الأنبياء.

٥٤_ نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضي، خطبة ١: ١٩/١ ـــ ٢٠.

٥٥_ أصول الكافي: ١/ ٢٩٣.

وإذا كانت الرواية الصادقية ناظرة لخلق أبدان أهل البيت عليه السلام، فإن هناك رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تبين خلق بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصها : (**إن لله نهرا دون عرشه، ودون النهر الذي دون عرشه نور نوّره، وإن في حافتي النهر روحين مخلوقتين: روح القدس وروح من أمره، وإن لله عشر طينات، خمسة من الجنة وخمسة من الأرض، ففسّر الجنان وفسّر الأرض، ثم قال [أي أمير المؤمنين] : ما من نبي ولا ملك من بعده جبله إلا فيه من إحدى الروحين، وجعل النبي صلى الله و آله و سلم من أحدى الطينتين. قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ما الجبل؟ فقال: الخلق غيرنا أهل البيت، فإن الله عز و جل خلقنا من العشر طينات ونفخ فينا من الروحين جميعا فأطيب بها طيبا**)[٥٦] وري عن أبي الصامت قال: (**طين الجنان: جنة عدن وجنة المأوى وجنة النعيم والفردوس والخلد. وطين الأرض: مكة والمدينة والكوفة وبيت المقدس والحائر**)[٥٧]. الضمير في قوله: (قلت) يعود إلى الراوي، والرواية فيها من التفصيل عن خلق روح القدس وروح من الأمر، وهي تعاضد الرواية السابقة وإن كانت متقدمة عليها زمنا إلا أن القصد أن الروايتين غير متعارضتين.

والبدن أو الجسم له أهمية كبرى كونه محل نطف بني آدم والتي تنتقل من ظهر آدم حتى حين تواجدها في الأرحام و خلق الجنين، وهذا تابع

٥٦_ أصول الكافي: ٢٩٣/١.

٥٧_ المصدر نفسه.

للهندسة الوراثية: (**وإن نطف بني آدم في صلب ظهر آدم بهندسة وراثة الجينات مثلا وغيرها من المحتملات والنظريات البيولوجية التي لم تحط بها الفلاسفة والبشر بعد بها، وأنها نحو حياة حيوانية تودع فيها الفطرة التوحيدية**)[٥٨]، ومن ذلك كان انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلب طاهر إلى صلب طاهر، لذا سنذكر نسب رسول الله وصولا إلى آدم عليه السلام : (**محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النصر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، والمشهور أن عدنان بن أد، بن أدد، بن اليسع، بن، الهميسع، بن سلامان، بن حمل، بن قيدار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن تاريخ، بن ناخور، بن شروع، بن ارغو، بن قالع، بن عابر، بن شالخ، بن ارفحشد، بن سام، بن نوح، بن مالك، بن متوشلخ، بن اخنوخ، بن البارز، بن مهلائيل، بن قنيان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم عليه السلام. وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف إلى آخر ما تقدم**)[٥٩]. وهذا النسب فيه أنبياء عليهم السلام بما في ذلك إسماعيل وإبراهيم ونوح وآدم عليهم السلام جميعا.

وهذا البدن الشريف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه معجزات دالة على عظمة صاحبه المعظم ، نذكر منها: كان جبينه

---

[٥٨] _ مقامات النبوة والنبي، الشيخ محمد السند: ٢٩٢.

[٥٩] _ حق اليقين في معرفة أصول الدين: ١٥٢.

يضيء كالقمر المنير، كانت تضيء أصابعه كالشموع، كان عرقه الشريف أطيب عطر، لم يكن له ظل سواء كان في الأرض المشرقة من الشمس أو القمر، كان قصير القامة لكن لم يظهر لأحد علو قامة عليه إذا مشى معه، وكانت الطيور لا تعلوه ولا تطير على رأسه، لم يكن النوم يعطل حواسه فقد كان نومه ويقظته سيان، وكان على كتفه الشريف منقوشا خاتم النبوة، لم يحتلم قط، وكانت الأرض تبلع غائطه وبوله لذا لم يرها أحد قط، وإذا مشى على الأرض الرخوة لم يوثر فيها قدمه، وإذا مشى على الأرض الصلبة بقى فيها أثره، ولم يكن أحد ينظر إلى وجهه... وغير ذلك من المعاجز[٦٠].

ومن خصائص بدنه أن الله تعالى خلقه كاملا في تركيبه وبنيته، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**إن الإمام المعصوم عليه السلام خلقه الله تعالى كاملا في بنيته التركيبة وتركيبه البدني معتدلا من جميع الجهات، ولا يمكن أن يصيبه الموت أو التلف إلا بعارض خارجي من قتل ونحوه. وأما لو لم يحدث عليه حادث فإنه قابل للبقاء أبد الدهر دون هرم أو موت**)[٦١]. و صرح السيد الشهيد محمد الصدر باشتراك النبي صلى الله عليه و آله وسلم بهذه الصفة إذ قال: (**الفكرة التقليدية القائلة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمة عليهم السلام قد خلقت بنيتهم الجسدية قوية كاملة، لا تكون قابلة للموت والتلف إلا بعارض خارجي،**

٦٠_ ينظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين :١٦١ ــ ١٦٢.
٦١_ تأريخ ما بعد الظهور، السيد الشهيد محمد الصدر: ٦٤٧.

فلو لم يحدث شيء على المعصوم، لكان ذلك قابلا للبقاء إلى الأبد. ولكن طبقا للقانون العام للموت الذي أعربت عنه الآية: ((كل نفس ذائقة الموت)) (آل عمران: ١٨٥)، لا بد أن يطرأ عارض خارجي كالقتل ونحوه على كل معصوم لكي يكون هو السبب في انتهاء حياته)[٦٢]. وبناءً على هذه الفكرة فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا بدّ أن تكون وفاته مسببة عن القتل، واختلفوا في سبب قتله، قال جمهور السنة: إن السم الذي أكله في الذراع الذي قدمته له اليهودية، أثر فيه بعد عدة سنوات، وقال بعض الخاصة أنه صلى الله عليه وآله وسلم مات نتيجة لعمل تخريبي مباشر من قبل بعض المنافقين[٦٣]. و استدل بعض العلماء عن مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالآية الكريمة: **((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم))** (آل عمران: ١٤٤)، فتعبير الآية (أو قتل) يدل على تعرض رسول الله لاغتيال من قبل المنافقين وقد نجح هذا الاغتيال في قتل رسول الله [٦٤] ومنهم من استدل بقوله تعالى: **((إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا))**(التحريم: ٤) إذ قال: (**ويظهر من الآية أن هناك مظاهرة ومناصرة وتآزرا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم تستهدف حياته عليه السلام ومن ثم هدد سبحانه بذاته**

٦٢_ تأريخ الغيبة الصغرى، السيد الشهيد محمد الصدر: ٢٣١.
٦٣_ ينظر: المصدر نفسه: ٢٣١ ــ ٢٣٢.
٦٤_ ينظر: خلاصة معرفية، الشيخ محمد السند: ٤٣.

المقدسة وجبرائيل وبصالح المؤمنين وبجميع الملائكة كأعوان مما يكون في مقام أعداد العدة لنفير الحرب. وفي بعض الروايات الصحيحة: (ما منّا إلا مسموم أو مقتول)، حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات بالسم)[٦٥]. وهذه الفكرة (فكرة بقاء البدن خالدا ولا يمكن أن يفنى) ما هي إلا أطروحة لها مرجحاتها وعليها مناقشات، وبالجملة فيمكن القول أن بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له خصوصيات كونه مركب الروح العليا لرسول الله.

---

[٦٥] _ خلاصة معرفية: ٤٤.

الفرق بين بدن رسول الله وروحه:

لقد أثبت الله تبارك وتعالى عند حديثه عن الأنبياء عليهم السلام بشريتهم وأنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قال تعالى: ((**وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**)) (الأنبياء: ٨)، وقال تعالى : ((**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**)) (الفرقان:٢٠) ، وكان قوم الأنبياء يعيبون عليهم ذلك عندما يرونهم في الأسواق، قال تعالى: ((**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا**))(الفرقان: ٧)، ولكون الأنبياء بشرا فهم كذلك يموتون، قال تعالى: ((**إنك ميت و أنهم ميتون**))(الزمر:٣٠) وهذا كله مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نظرا لبدنه وخلقه.

و أعمال الباطنية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته ورسالاته ومقاماته كلها متعلقة بروحه. قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**فإن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليس هو هذا الرجل الذي يأكل ويمشي فقط، وإنما الأصل هو روحه العليا والتي هي المخلوق الأول**)[٦٦]، لذا عندما كانت روحه غير مرتبطة ببدنه كان لها عملين[٦٧]

[٦٦] _ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين : ٧١.
[٦٧] _ ينظر: المصدر نفسه: ٧١ ــ ٧٢.

الأول: ذكر الله تعالى، وقد نصت على ذلك روايات كثيرة، سبق ذكر بعضها في مقدمة هذا الفصل.

الثاني: تسلطه على الإرادة التكوينية للخلق، وهذا أيضا أكدته الروايات، وأن الله تعالى أعطاه السلطة والإدارة للسماوات والأرض والكون.

و العمل الثاني قد يفهم منه الغلو وهو ليس كذلك، فرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم عبدا لله وليس شريكا لله تعالى، قال الإمام الرضا عليه السلام: **(حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا. قال الله تبارك وتعالى : ((ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون))(المائدة: ١١٦ ــ ١١٧))**[٦٨]

و رسول الله صلى الله عليه و آله وسيط بنوره وروحه: **(ولذا يصف الباري تعالى طبقة من وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه هو النور، كقوله تعالى: ((وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري**

٦٨_ نوادر الأخبار في ما يتعلق بأصول الدين، الفيض الكاشاني: ١٩١.

ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم)) (الشورى:٥٢). ومن جانب آخر قوله تعالى: ((وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين)) (القصص:٤٤) وهناك موارد عديدة خاطب القران الكريم فيها النبي بـ(ما كنت))[٦٩] وذلك كله لأن حضور الروح يغاير حضور البدن،لأن حالات الروح غير حالات البدن، لذا مع كون أبدان أهل البيت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شريفة وطاهرة مطهرة ولها المنزلة العظيمة إلا أن أرواحهم لها مقام آخر وشؤون آخر[٧٠]

---

[٦٩] _ مقامات النبوة والنبي: ٢٨٥.
[٧٠] _ ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٦.

معراج رسول الله:

ذكرت قصة معراج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم في القران الكريم في سورتي الإسراء وسورة النجم. قال تعالى: ((**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**)) (الإسراء: ١) فالإسراء من الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس، وهذا الإسراء ببدن النبي وروحه، ثم عرج به إلى السماء.

وفي سورة النجم قوله تعالى : ((**علمه شديد القوى ذو مرة فاستوي وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى**)) (النجم: ٥ ـ ١٢) الله عز و جل علم رسوله وهو في الأفق الأعلى، وأقترب من حضيرة القدس حتى كان قاب قوسن أو أدنى وهناك أوحى إليه الله تعالى... وينقل عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (**لما عرج بي إلى السماء دنوت من ربي عز و جل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى**)[٧١].

و حديث المعراج طويل جدا قد ذكرته كتب الروايات والحديث، و لسنا بصدد الكلام عنه بالتفصيل، و منه: (**لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب، فقال جبرائيل: تقدم يا**

---

[٧١] ـ الأمثل في تفسير القران المنزل: ١٧/ ٢٠٤.

رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت،)[٧٢] وعلق عن ذلك السيد الشهيد محمد الصدر بقوله: (**أنه لما عرج به نحو أنوار العظمة الإلهية فوصل إلى ذلك المقام، أعتذر جبرائيل عن المضي معه؛ إذ ليس له القدرة على تحمل تلك الأنوار كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالنبي خير الخلق، وهو أقوى الخلق على الإطلاق من هذه الناحية**)[٧٣]

و يهمنا هنا ما يتصل بمنهج الكتاب سؤال واحد فقط : هل عرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بروحه فقط أم بروحه وبدنه؟

وفي جواب ذلك قولان:

الأول: أنه عرج بروحه وبدنه، وهذا قول عامة الشيعة وبعض علماء السنة: (**وورد في روايات الفريقين أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرج بجسده وروحه إلى دار الآخرة، ودخل الجنة وشاهد كثير من مشاهد الآخرة**)[٧٤]. وكان المعراج بالروح والبدن وذلك لما ثبت في الروايات ركوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البراق وهي الدابة التي حملته إلى السماء، إذ لو كان العروج بالروح فقط لما احتاج إلى البراق. و لم تستطيع قريش أن تدرك المعاني السامية فيما حدثهم عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال بعضهم: والله إن العير لتطّرد

---

[٧٢] ـ منة المنان في الدفاع عن القران: ٢/ ٨.
[٧٣] ـ المصدر نفسه.
[٧٤] ـ عوالم الإنسان ومنازله العقل العملي وقضاياه: ١٨٣.

شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة، أيذهب محمد ذلك في ليلة واحدة ويرجع؟ ووصف لهم رسول الله المسجد الأقصى وصفا دقيقا، وذكر لهم أنه مرّ بقافلة وهو يطلبون بعيرا ضلّ لهم ، وفي رحلهم قعب ماء كان مكشوفا وقد غطاه كما كان. وسألوه عن قافلة أخرى فقال: مررت بها بالتنعيم، وبيّن لها أحمالها وهيئاتها، وقال: يقدمها بعير بصفة كذا وسيطلع عليكم عند طلوع الشمس. فجاء كما قاله صحيحا كما أخبر به[٧٥] و تكذيب قريش لهذه المعجزة، لأن لو كان العروج بالروح ومن خلال المنامات فهي دعوى سهلة لا تستحق عناء التكذيب[٧٦]

الثاني: أنه عرج بروحه فقط دون بدنه، نظير ما يحصل في المنام، وعلل ذلك بعدم قدرة البدن العروج إلى السماوات، قال السيد الشهيد محمد الصدر مفصلا في ذلك: **(المشهور طبعا أنه صعد صلى الله عليه وآله وسلم جسدا وروحا، لكن الشيء الذي هو موجود وهو ظاهر القران وكذلك السنة أن هناك إسراء وهناك معراجا، فلذل هو يسمه إسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) كأنما الشيء الذي أفهمه أنه بعد أن انتهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جماعته للمغرب والعشاء مثلا جلس هناك يقرأ دعاء أو نام أو كذا، وهناك أيضا صلى ركعتين وتعبد ثم من هناك عرج به إلى السماء، الإسراء هو الذهاب إلى المسجد الأقصى والمعراج هو الذهاب إلى**

---

٧٥ ــ أعلام الهداية محمد المصطفى: ١/ ١٠٤ ــ ١٠٥.

٧٦ ــ ينظر: مركز الرصد العقائدي العتبة الحسينية المقدسة.

الملكوت الأعلى وعالم الجبروت وعالم الملائكة والعرش ونحو ذلك من الأمور)[٧٧] و أضاف السيد الشهيد محمد الصدر أن المعراج كان بالروح فقال: (**أما بالنسبة إلى المعراج فبالروح ، بدليل على أنه رأى الملائكة، والملائكة ليس أجسادا وليسوا أجساما كالأجسام الدنيوية، ورأى الأنبياء، والأنبياء طبعا متوفين سلام الله عليهم، وأجسادهم مدفونة في الأرض منتهية، إنما أرواحهم موجودة هناك، إذن فالشيء الرائي هو النبي صلى الله عليه و آله وسلم هو روحه المناسبة مع أرواح الأنبياء يراهم من سنخه من نفس العالم، وليس من عالم آخر، هو بجسم دنيوي وهم بجسم برزخي أو ملكوتي أو جبروتي هذا لا يمكن، إنما الشيء الذي يمكن أنه يصل إلى العالم الأعلى هو من سنخه، فيرى ما فيه من ملائكة ومن أنبياء ومن مؤمنين ومن جنة ومن نار ونحو ذلك، فإذن المعراج بالروح ، والإسراء بالجسد)**[٧٨]. واستبعاد المعراج بالبدن بعيد، لأن أينشتاين في نظريته يرى السرعة أسرع من الضوء، وليلة المعراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع ملايين السنيين الضوئية، وهذا لا يكون بالبدن ، أما سرعة الروح فهي أسرع من الضوء لأنها خارجة عن قوانين المادة[٧٩]

---

[٧٧] ــ مواعظ ولقاءات، السيد الشهيد محمد الصدر: ٢٩٢.
[٧٨] ــ مواعظ ولقاءات: ٢٩٢ ــ ٢٩٣.
[٧٩] ــ المصدر نفسه: ٢٩٤.

تكامل رسول الله بعد العصمة:

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الإنسان الكامل الذي اختاره الله تعالى ليكون أسوة حسنة وقدوة لمن آمن بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ((**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**))(الأحزاب: ٢١) وينبغي أن يكون الأسوة معصوما عن الخطأ والسهو والنسيان وكل العيوب، حتى يقتدي به الناس. ولذا سنعرف معنى العصمة وأدلتها ومراتبها ومرتبة عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ومعنى الذنوب الدقّيّة.

معنى العصمة:

عرفت العصمة بأنها: **(عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصي كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية بل يفعل به ألطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها، كقوة العقل وكمال الفطانة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى)**[٨٠]. وعرفت كذلك بأنها: **(قوة تكوينية في العقل والعلم، يهبها الله لمن يشاء من عباده تمنعهم من اقتراف المعاصي مع قدرتهم عليها)**[٨١]. وبذلك لا يكون معنى العصمة عدم ارتكاب المعصية، إذ ذلك ممكن للفرد العادي خلال عمره كله، بل العصمة هي حصول الفرد على ملكة نفسانية قوية، وهي مَلَكة تحصل من الوعي التام، وإرادة قوية على ضبط النفس[٨٢]

والذي تحصل له هذه الملكة (العصمة) بفضل الله تعالى ولطفه هم الملائكة سواء كانوا مكلفين بالوحي كجبرائيل أو غير مكلفين بذلك كسائر الملائكة، والأنبياء جميعهم، والأئمة الأثني عشر أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٨٣]

٨٠_ حق اليقين في معرفة أصول الدين: ١٣٥/١.

٨١_ الإمامة الإلهية،قواعد في العصمة ، الشيخ محمد السند: ٦/ ٨.

٨٢_ينظر: دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي المصباح اليزدي:٢٣٣/٢.

٨٣_ ينظر: دروس في العقيدة الإسلامية:٢٣٢.

والمعصوم هو(**الموجه لنفسه نحو الطاعة، والمانع لها من كل معصية، وبيده زمام نفسه يوجهها حيث الخير و الفضيلة، وهو القائم على تطبيق كل ما جاءت به الشريعة الغراء من قيم و مبادئ من جهة، كما أنها قد تغلغلت في نفسه كمبدأ يستحق من صاحبه كل تضحية وفداء من جهة أخرى، كل ذلك بمحض إرادته، وكامل اختياره**)[٨٤]

---

[٨٤] ـ العصمة بحث في ضوء المنهج القرآني، السيد كمال الحيدري: ١٣٠.

أدلة العصمة:

للعصمة دليلان، دليل عقلي ودليل نقلي، أما الدليل العقل فنذكر منه ما يأتي[٨٥]:

الأول: لو انتفت العصمة لم يحصل الوثوق بالشرائع، لأن المبلغ سواء كان نبي أو إمام إذا سها أو أخطأ فسيكون الخلل في الشريعة، وهذا ينافي وظيفة النبي أو الإمام.

الثاني: النبي والإمام هو الأسوة الحسنة للناس، فيكيف يتبع الناس من يسهو ويخطأ ويعصي، فبهذا تنتفي الأسوة والقدوة.

الثالث: إذا كان النبي يعصي والإمام فحينها يسقط محله و قدره عند الناس، فلا ينقادوا إليه ولا يطيعونه، وعندها تنتفي وظيفته المكلف بها.

الرابع: لو كان يخطأ النبي أو الإمام لكان محتاجا لمن يسدده ويمنعه عن ذلك، وهذا المسدد إما أن يكون معصوما فيثبت المطلوب، أو غير معصوم فيتسلسل و التسلسل باطل في الفلسفة.

الخامس: أنه يقبح بالحكيم (الله تعالى) أن يكلف الناس بإتباع من يجوز عليه الخطأ و النسيان.

وذكر الشيخ المصباح اليزدي دليلين عقليين[٨٦]، نذكرهما بإيجاز:

---

[٨٥] _ ينظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين: ١/ ١٣٧.
[٨٦] _ ينظر: دروس في العقيدة الإسلامية : ٢٣٩/٢ ــ ٢٤٠.

الأول: إن الأنبياء والأئمة هو سفراء الله تعالى للبشر، يلزم عليهم هداية الآخرين للصراط المستقيم، فلو لم يلتزم السفراء بالتعاليم الإلهية، فإن الناس ستنحرف عن الصراط المستقيم، وبذلك سينتقض الهدف من الرسالة والبعثة و السفارة وهذا مخالف للحكمة الإلهية.

الثاني: كما أن الأنبياء والأئمة مكلفون بهداية البشرية، كذلك هم مكلفون بالقيام بتزكية الناس وإصلاحهم وإيصال الناس للكمال المطلوب (أي دورهم دور المربي) ولا يستحق مقام المربي لجميع الناس وتزكيتهم إلا من وصل إلى أعلى مراتب الكمال(العصمة) وهم الأنبياء والأئمة.

أما الدليل النقلي فهو يشمل الآيات القرآنية والروايات الشريفة، ولأن الآيات و الروايات كثرة جدا ومستفيضة، ولأن كلامنا يخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدرجة الأولى؛ لذلك سنقتصر على آية التطهير فقط وهي قوله تعالى: ((**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)) (الأحزاب: ٣٣) ومن المتسالم عليه عند السنة والشيعة أن المراد بأهل البيت عليهم السلام هم **محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.**

إن هذه الآية المباركة اختصت بأصحاب الكساء، والمعنيون هم أهل البيت عليهم السلام، وهم مشمولون بخصائص هذه الآية، فالإرادة التكوينية الأزلية لله تعالى قضت بأن يكون هناك فاصل أبدي بين الأرجاس وأهل البيت عليهم السلام فطهرهم من الرجس ومن أي دنس، وحكت إرادته لهم

بالطهارة ، وهم بذلك يتمتعون بروح عالية عظيمة تنأى بهم عن ارتكاب القبائح والمكروهات وترك الأولى[٨٧].

وقد أبحر في تفسيرها السيد الشهيد محمد الصدر في كتابه شذرات من فلسفة تأريخ الإمام الحسين عليه السلام[٨٨] وما يهمنا في هذا المقام بحثه عن الاستدلال على العصمة بالتطهير، ولأن السيد الشهيد ذكر خمسة أساليب للاستدلال عن ذلك، لذا سنكتفي بالأسلوب الثالث والرابع والخامس لأهميتها وسنجعلها منها هنا أمورا ونجعل تسلسلها أمر أول وثاني وثالث كما يأتي:

الأمر الأول: عظمة أخلاصهم:

قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**كلما كان الإخلاص أشد وأكثر فسوف يكون إنجاز التوقعات أكثر، فمع وجود الإخلاص وجدت الهمة، ومع تصاعد الهمة توجد العصمة. والصغرى أيضا محرزة في أهل البيت عليهم السلام وهي وجود الإخلاص العالي جدا لديهم تجاه الله تعالى وتجاه شريعته**)[٨٩]. وهذا يعني أن الإخلاص سبب للوصول للعصمة،

٨٧_ ينظر: ولأي الأمور تدفن سرا بضعة المصطفى ويعفى ثراها،السيد مرتضى الرضوي:١٧

٨٨_ شذرات من فلسفة تأريخ الإمام الحسين : ٤٧ ــ ٨٨. وينظر: الأنظار التفسيرية في تراث السيد الشهيد محمد الصدر،مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر:٩٤ ــ ١٣٦.

٨٩_ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين :٨٠.

سواء كان ما قبل العصمة أو عصمة أولية أو ثانية كما سيأتي في مراتب العصمة.

الأمر الثاني: قطع الرجس عن النفس:

ذكر السيد الشهيد محمد الصدر ذلك بقوله: (**إن السبب الرئيسي للذنوب والعيوب والتجاوزات الصادرة من البشر، إنما هو النفس الأمارة بالسور، والسوء ناشيء من الر جس الموجود فيها. فإذا انقمع وانقطع زالت كل آثاره ونتائجه، فإذا حصل ذلك بشكل كامل وشامل حصلت العصمة لا محالة**)[٩٠]. و إذا نظرنا لآية التطهير نجد الإرادة الإلهية رفعت الرجس عن أهل البيت عليهم السلام، وإذا زال الرجس الذي هو سبب لمنع العصمة، تكون العصمة حق ولطف إلهي.

الأمر الثالث: درجة وجود أرواحهم وأنوارهم العليا:

بيّن ذلك السيد الشهيد محمد الصدر إذ قال : (**أن ننظر إلى درجة وجود أرواحهم وأنوارهم العليا، فوجودهم أعلى وأقرب إلى الله سبحانه من الناحية التكوينية والمعنوية، لأنهم خير الخلق، وهم العلل العليا للكون بالأسلوب الهرمي الذي ذكرناه، فإذا نظرنا إلى تلك الدرجة، نجد أن تلك المرتبة العالية من الله تعالى لا بدّ وأن تكون منزهة من الذنوب والعيوب والقصور والتقصير مهما كان ضعيفا أو قليلا**)[٩١] وقد ذكرنا روايات خلق

[٩٠]_ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين:٨١.
[٩١]_ المصدر نفسه: ٨١ ــ ٨٢.

روح رسول الله ونوره وأنه الصادر الأول و أول من خلقه الله تعالى في عالم الإمكان، وبذلك فهو أول معصوم وأعلى المعصومين رتبةً وعصمته من المرتبة العالية وهي تكامل ما بعد العصمة.

مراتب العصمة:

تقسم العصمة بحسب مراتبها على ثلاث مراتب، وسنذكرها بحسب التسلسل الهرمي تصاعديا كما يأتي:

المرتبة الأول: العصمة الثانوية أو العصمة غير الواجبة أو العصمة الصغرى:

وهي مرتبة عالية جدا من العدالة وإطاعة الله سبحانه وتعالى، بحيث يكون صدور الذنب من الفرد المتصف بها معدوما، بسبب الملكة الراسخة لديه والقوة المانعة عن الذنوب[٩٢].ومن ألأفراد الذين اتصفوا بهذه العصمة السيدة زينب الحوراء عليها السلام و العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام[٩٣].

وكذلك أصحاب الأئمة الممحصين الذين تربوا على يد الأئمة كحبيب بن مظاهر الأسدي وأمثاله[٩٤]. ويمكن لكل فرد أن يصل لهذه العصمة إذا جدّ في طاعة الله وصدق الوفاء مع الله وارتفعت لديه درجة الإخلاص[٩٥].

[٩٢] ــ ينظر: أضواء على ثورة الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر: ٤٧.
[٩٣] ــ ينظر: المسائل الأعتقادية، الشيخ محمد تقي بهجت: ١٦.
[٩٤] ــ ينظر: أضواء على ثورة الحسين: ٤٦.
[٩٥] ــ ينظر: الدائرة الاصطفائية الثانية لأهل البيت أبو الفضل العباس أنموذجا، الشيخ محمد السند: ٣٠٩

المرتبة الثانية: العصمة الأولية أو العصمة الواجبة أو العصمة الكبرى:

وهي أعلى مرتبة من العصمة السابقة (**وهي التي دلّ الدليل العقلي على ثبوتها بالضرورة للأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام، كما هو مبحوث في العقائد الإسلامية، وهذه المرتبة عطاء من قبل الله إليهم، لا ينالها غيرهم، ولا يمكن أن يكون الدليل عليها دليلا على غيرهم أيضا**)[٩٦] . وهذه العصمة تكون لأهل البيت عليهم السلام أولهم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآخرهم محمد المهدي عليه السلام، ومن سواهم إن كانوا معصومين فهم بالعصمة الثانوية لا الأولية[٩٧]. وهذه المرتبة لأهل البيت عليهم السلام بالمعنى الأولي؛ لأنهم يتكاملون ويصلون إلى المرتبة العالية (تكامل ما بعد العصمة) و ما استحقاقهم للمرتبة الثانية إلا لكونهم أوصياء.

وهذه المرتبة من العصمة تختلف عن المرتبة السابقة بأربعة فروق[٩٨]:

أولا: عدم شمول البرهان على العصمة الواجبة للعصمة الأخرى.

الثاني: عدم شمول العصمة الواجبة للخطأ والنسيان بخلاف الأخرى.

الثالث: ملازمة العصمة الواجبة مع درجة عالية من العلم، بخلاف الأخرى فإنها قد تحصل لغير العالم كما تحصل للعالم.

---

٩٦ ــ ينظر: أضواء على ثورة الحسين: ٤٧.

٩٧ ــ ينظر: العشق الأبدي في سيرة والدي، السيد مقتدى الصدر: ٢٢.

٩٨ ــ أضواء على ثورة الحسين: ٤٧.

الرابع: انحصار عدد أفراد العصمة الواجبة بالأنبياء والأوصياء، وأما العصمة الأخرى فبابها مفتوح لكل البشر، في أن يسروا في مقدماتها وأسبابها حتى ينالوها، وليست الرحمة الإلهية خاصة بقوم دون قوم.

المرتبة الثالثة: تكامل ما بعد العصمة:

وهذا التكامل يأتي بعد مرتبة العصمة الواجبة[٩٩] لأن المعصومين الأربعة عشر وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكاملون و (**ليس معناه أن أحدهم انقص من غيره ثم يكتمل، بل الثابت أن أول مجيئهم هم أكمل من غيرهم إلا أنه بالقياس إلى كمالات الله هم يتكاملون أكثر فأكثر، لأن الباري تعالى كمالاته لا محدودة**)[١٠٠]. وهذا التكامل يأتي بسبب المرتبة العالية والمركزة من التطهير[١٠١]، وبذلك تكون عصمة النبي والإمام في حالة تكامل واستفاضة مستمرة من الله تعالى بينما عصمة الله تعالى لا متناهية في الكمال أزلية ذاتية[١٠٢]. وبذلك العصمة درجة عالية جدا وضرورية التأثير وتكون ذات درجة عالية من الإخلاص والإيمان[١٠٣] وهذا التكامل يكون بسب السبق في الخلقة والمراتب العليا، وقد تبين مما سبق أن روح رسول الله صلى الله عليه وآله

---

[٩٩] ــ ينظر: تأريخ الغيبة الكبرى، السيد الشهيد محمد الصدر: ٥٤٥.
[١٠٠] ــ أبحاث عامة حول النبوات، الشيخ محمد السند: ٣٧٧.
[١٠١] ــ ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٨١.
[١٠٢] ــ ينظر: الإمامة الإلهية، قواعد في العصمة: ٩٠.
[١٠٣] ــ ينظر: تأريخ ما بعد الظهور، السيد الشهيد محمد الصدر: ٤٩٥.

وسلم أول مخلوق في عالم الإمكان، وبذلك هو أسرع تكاملا، والتكامل اللاحق لروحه يكون مستمرا، وهو في تكامل تصاعدي[١٠٤]

[١٠٤] ــ ينظر: الإمامة الإلهية، قواعد في العصمة: ١٠٩.

الذنوب الدّقّية:

قُسمت الذنوب بأقسام منها: الذنوب الكبيرة والذنوب الصغيرة و ترك الأولى. وقد سبق أن المعصومَ معصومٌ عن جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، وقد أُستثني من ذلك ترك الأولى. قال السيد الشهيد محمد الصدر : (**إن المعصوم عن الذنوب عموم الناس، لا أنه له مستواه الخاص به، الذي يشعر من خلاله بكونه مذنبا أمام الله سبحانه، والذي يسميه المتشرعة (مخالفة الأولى) والتي اصطلح عليها بأنها الذنوب الدّقّيّة) فيستغفر الله منها**)[١٠٥]. وهذه الذنوب تناسب مستوياتهم، قال السيد الشهيد محمد الصدر:(**إن المعصومين عليهم السلام إنما هم معصومون من الذنوب العامة وليسوا معصومين مما فوقها. ومن هنا بدرجة من درجات تفكيري قلت: إنه توجد هناك توقعات منهم قد تعصي، أو سميتها (الذنوب الدّقّيّة) لأنها ذنوب على مستواهم من التوقع والتفكير. فهم بالنسبة إلى التوقعات الخاصة برتبتهم ليسوا معصومين**)[١٠٦]

---

١٠٥ ــ الأنظار التفسيرية في تراث السيد الشهيد محمد الصدر: ٥٥٠ ــ ٥٥١.

١٠٦ ــ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٨٦.

و قد أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء والرسل ولكنهم اختلفوا، على ثلاثة أقول[١٠٧]:

الأول: القول بالعصمة مطلقا من جميع الذنوب، وفي جميع الحالات وهذا هو مذهب الإمامية.

الثاني: القول بالعصمة من الكبائر مطلقا، و أما الصغائر فإنها جائزة عليهم سهوا، وهذا مذهب المعتزلة.

الثالث: القول بالعصمة عن الكبائر عمدا، و لكنها جائزة عليهم سهوا و هذا مذهب الأشاعرة.

وبهذا البيان فإن الذنوب التي تنسب للأنبياء في القرآن الكريم، كآدم ويعقوب ويونس وغيرهم عليهم السلام ما هي إلا ذنوب دّقّيّة وليست ذنوبا عامة[١٠٨].

ويمكن القول: إن هذه الذنوب تناسب العصمة الأولية أو الواجبة أو الكبرى، ولا تكون في المرتبة العالية مرتبة تكامل ما بعد العصمة، وإن صدر ما يماثلها في هذه المرتبة فهي ليست ذنوبا وإنما هي تعبير عن القصور الناتج من الإنسان الممكن (المخلوق) اتجاه الواجب غير المتناهي (الله تعالى)، وذلك لأن (**الله تعالى لا متناهي في جميع**

---

١٠٧ ــ ينظر: العقائد في القرآن من مواهب العارف السيد عبد الأعلى السبزواري، السيد إبراهيم سرور: ٧٤.

١٠٨ ــ ينظر: العقائد في القرآن من مواهب العارف السيد عبد الأعلى السبزواري : ٧٤

الجهات، ولا يستطيع العبد مهما أوتي من كمال أن يبلغ حق طاعته أو عظمته، بل يبقى الفرق عظيما بينهما لا محالة. فمن أجل الشعور بهذا القصور والتقصير يمكن أن يستغفر المعصوم)[١٠٩]. ومع كون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوما إلا أنه (**يشعر بالتقصير أمام الله تعالى، ويرى أن ذلك التقصير ذنب تجاه الله سبحانه، فمن هذه الحيثية كان له ذنوب ، إلا أنها والعياذ بالله ليست كذنوبنا، بل هي ذنوب أمام الله سبحانه. ولنضم هذا المعنى إلى كبرى مفادها أن المسؤولية الأخلاقية للذنب تتحدد بمقدار أهمية الآمر، فإذا كان الآمر هو الأب مثلا، كان عصيانه درجة من درجات المسؤولية الأخلاقية ، فإذا كان الشخص أفضل و أعلى منه، كالحاكم الشرعي أو المعصوم، كان الذنب أكبر والمسؤولية أعظم. وأما إذا كان الآمر الله سبحانه، فسوف تصل المسؤولية الأخلاقية إلى نهايتها وغايتها؛ لأن الله غير متناهٍ، فالمسؤولية الأخلاقية بذنب واحد لا نهائيةً...)**[١١٠]

و المرتبة العالية للعصمة (تكامل ما بعد العصمة) مع عظمة قدرها لكنها لا تصل للعصمة الإلهية (**إن توهم مخالفة تلك الأمور ومنافاتها للعصمة إنما ينشأ من توهم أن عصمتهم هي عصمة الله تعالى والحال أنها ليست كذلك ؛ لأن معنى ترك الأولى أنه ترك ما ينبغي فعله بالقياس إلى العصمة الإلهية لا بالنسبة إلى العصمة غير الإلهية، وتوقف لحظة**

---

[١٠٩] ــ الأنظار التفسيرية في تراث السيد الشهيد محمد الصدر: ٥٥١.

[١١٠] ــ منة المنان في الدفاع عن القران:٢/ ٢٥.

ما بالنسبة للعصمة الإلهية فليست الخطيئة في ترك الأولى بمعنى الخطيئة المعهودة عند الآخرين، وإنما بمعنى وجود كمالات أعلى منها لم يصل إليها، وإلا فالكمال المعهود فقد وصل إليه وتجاوزه، أما الكمال المطلق فهو كمال لا محدود ولا يمكن أن يوصل إلى نهايته لأنه لا نهاية له، وإنما النبي والإمام في حالة ترقٍّ متواصل لا حدّ له ولا أمد)[١١١].

وبذلك فإن المقام العالي لعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعلى و أعظم من حصول جميع الذنوب معه حتى وأن كانت ترك الأولى، أو بحسب اصطلاح السيد الشهيد محمد الصدر (الذنوب الدّقّيّة)، وذلك لما أثبتناه من استمرار تكامل روح رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم.

---

[١١١] ــ الإمامة الإلهية، قواعد في العصمة : ٩١.

الفصل الثاني: إعجاز شخصية رسول اللّه

- الإعجاز النفسي
- أعجاز شخصية رسول اللّه في عظمة شريعته
- إعجاز شخصية رسول اللّه في عظمة أصحابه

الفصل الثاني: أعجاز شخصية رسول اللّه

توطئة:

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصية يتيمة وفريدة في تأريخ البشرية. وقد تجمعت فيه صفات الكمال وكان مجمع الفضائل ومنتهى المكارم. فكان قدوة الأنبياء والمرسلين والأئمة وعباد الله الصالحين.

وشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمتاز بصفات وخصال نستطيع معها أن نقول أن شخصيته معجزة بحد ذاتها. ويمكننا أن نقسم أعجاز شخصيته على تقسيمات عدة منها: الأعجاز النفسي وذلك بخصائصه النفسية وميزاته الخلقية ويتمثل ذلك بعبادته صلى الله عليه و آله و سلم وزهده وأخلاقه وتواضعه. وأعجازه في علو تشريعاته فقد جاء بشريعة متكاملة صالحة لجميع العصور ولجميع البشرية بمختلف مشاربهم و مآربهم. وأعجازه في عظمة أتباعه وأنهم يمثلون شخصيات فذة في التأريخ كأمير المؤمنين علي عليه السلام و السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولأهمية شخصية رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حياتنا وأنه قدوة لنا؛ لذا سيكون هذا الفصل عن أعجاز شخصيته.

الإعجاز النفسي:

إن من قرأ التأريخ وأجال النظر في شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته إلى حين بعثته، وإلى ارتحاله للرفيق الأعلى فإنه يجد الإعجاز يتفجر من شخصيته، خصوصا وإنه نشأ في بيئة صحراوية مبنية على العنف والتكبر والجهل والتعصب وعبادة الأوثان[١١٢]

كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم في قمة القمم وفي أعلى مراتب الكمال وفي ذرة الفضائل متمثل بعبادته لله تعالى وزهده وتواضعه وأخلاقه وجميع صفاته النفسية.

---

[١١٢] ـ ينظر: مبادئ وأصول المعارف الإلهية دراسة منهجية مقارنة، فاضل الصفار: ٢٢٤.

عبادته:

إن وسام الكمال الذي حازه رسول الله صلى عليه وآله وسلم كان بعبادته العظمى وخضوعه وخشوعه لله تعالى. و **(تجلت هذه العبودية في قوله وسلوكه حتى قال صلى الله عليه و آله و سلم: (قرة عيني الصلاة) فهو ينتظر وقت الصلاة ويشتد شوقه للوقوف بين يدي الله ويقول لمؤذنه بلال: (أرحنا يا بلال) وقد كان يحدث أهله ويحدثوه فإذا دخل وقت الصلاة فأنه لم يعرفهم ولم يعرفوه. وكان إذا صلى يسمع لصدره أزير كأزير المرجل. ويبكي حتى يبل مصلاه خشية الله عز و جل. وكان يصلي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا.)**[١١٣].

وكان تهجده في كل ليلة مفروض عليه[١١٤]. قال تعالى : **((ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا))**(الإسرار:٧٩). و **(هنا ينبغي الالتفات إلى نقطتين:**

النقطة الأولى: قد يقال: إن الآية الكريمة غير خاصة بالنبي صلى الله عليه واله وسلم بل هي عامة لسائر المسلمين. والخطاب له لا يدل على عدم العموم لكثير من موارد القران الكريم. كالحجاب الخاص بزوجاته صلى الله عليه وآله وسلم وقد أفتى الفقهاء بعمومه. وغير ذلك حتى ورد: إن القران نزل بإياك أعني فاسمعي يا جارة. فما لم يثبت بدليل

---

١١٣ ـ أعلام الهداية، محمد المصطفى: ٤١.

١١٤ ـ ينظر: النور الأول الرسول الأعظم، الشيخ الوحيد الخراساني:١٠.

خارجي اختصاصه به صلى الله عليه وآله وسلم فهو عام وقرينة الخطاب لا تعنيه بشخصه صلى الله عليه وآله وسلم... فإن الوجوب عليه قرينتان: ظهور صيغة الأمر، وظهور الاختصاص أو الخطاب به صلى الله عليه وآله وسلم.في حين لا قرينة على عدمها. فتأمل.

النقطة الثانية: قال صاحب الجواهر: نعم. ينبغي أن يعلم: أن بين قيام الليل والوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق(لأن كل وتر فهو تهجد ولا عكس) لأن قيام الليل بالتهجد يحصل بالوتر وبغيره فلا يلزم وجوبه.(أي لا يلزم من وجوب التهجد وجوب الوتر فلزم إيجابه بحكم آخر لتعلق المصلحة الإلزامية به بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم) وأما الوتر فلما كان من العبادات الواقعية بالليل فهو من جملة التهجد بل هو أفضله... أقول: كأن صاحب الجواهر (قدس سره) تكلم من زاوية الشارع الإسلامي الذي أوجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم التهجد والوتر. وإذا تكلمنا من هذه الناحية لم يكن ما قاله صحيحا. لأن وجوب الوتر يلازم وجوب مصداق التهجد. وبذلك يغني عن وجوبه وكون وجوبه التهجد ينطبق على أمور أخرى لا أثر له بعد انطباقها على الوتر الواجب.إن كان المطلوب من التهجد ليس صرف الوجود، كما فهمه (قدس سره) إلا أن الظاهر أن المطلوب في التهجد ليس صرف الوجود بل هو المتعدد والطويل عرفا، كما لو كانت صلاة الليل واجبة عليه. حتى قال بذلك البعض. وهذا يعني وجوب التهجد إما أن يشمل الوتر وغيره. أو أن يعني: وجوب غير الوتر مضافا إلى

وجوبها بخطاب آخر. بل أن شموله للوتر لا يخلو من إشكال إذ لا يلزم وجود محركين لموضوع واحد وهو محال)[115]

وكان يصوم شعبان ورمضان وثلاثة أيام من كل شهر، وكان إذا دخل شهر رمضان يتغير لونه وتكثر صلاته ويبتهل في الدعاء، وإذا دخل العشر الأواخر، شد المئزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة[116]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما له من مهام من بناء حضارة الدين الحنيف ولإدارة الدولة الإسلامية وله تسع زوجات كانت عبادته خاصة لا يستطيع أن يقوم بها أحد غيره قط[117]

وعبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن عبادة ظاهرية فحسب، بل أعلاها عبادته الباطنية : **(والطاعات الداخلية أو الباطنية: هي ما يخص العمل النفسي أو القلبي للإنسان، وليس له أثر مباشر على الجسد، كالإخلاص والصبر والتوكل والتوحيد وغيرها)**[118]. ولا محالة فإن العبادة الظاهرية ناتجة عن فرد ذي نفس وقلب وعقل، وهي تتأقلم مع المحتوى الداخلي للفرد، كالحرارة تزيد عند زيادة النار وتضعف عند قلتها، فكذلك الصلاة. ولذا فالجزء الأهم من العبادة هو الباطن[119]

---

[115] ـ ما وراء الفقه:٩٥/٦ ــ ٩٦.

[116] ـ ينظر: المصدر نفسه: ٤١ ــ ٤٢.

[117] ـ ينظر: النبي قمة للإنسانية، الشيخ محمد السند:٣٠

[118] ـ فقه الأخلاق:٣٨/١.

[119] ـ المصدر نفسه:٣٨/١ ــ ٣٩.

وكانت عبادته تتمثل بأعلى درجات الإخلاص ولذلك فهو من أسباب التكامل لديه والتي وصل معها لمرتبه التكامل ما بعد العصمة ـ وبينا ذلك في الفصل الأول ــ وبذلك تكون عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أعلى مراتب العبودية، قال الشيخ مصباح اليزدي: (**الهدف من الخلق هي العبودية ولا طريق سواها، ولها مراتب أعلاها تلك المرتبة التي كان الأئمة المعصومون عليهم السلام يطلبونها من الله في المناجاة الشعبانية، فقد كانوا عليهم السلام ينادون: إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك.**)[١٢٠]

---

[١٢٠] ــ السير إلى الله، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: ٦٧ ــ ٦٨.

زهده:

الزهد أحد منازل الدين وأعلى مقامات السالكين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**الناس ثلاثة: زاهد، وصابر، وراغب. فأما الزاهد، فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فاته، فهو مستريح. وأما الصابر، فإنه يتمناها بقلبه، فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشناءتها ولو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه. وأما الراغب، فلا يبالي من أين جاءته، من حلها أو حرامها، ولا يبالي ما دنس فيها عرضه وأهلك نفسه واذهب مروته، فهم في غمرتهم يعمهون ويضطرون**)[١٢١]

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزهد خلق الله، فقد قال: (**إن ربي عز و جل عرض عليّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما، فأما الذي اليوم أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك**)[١٢٢]

وقال أمير المؤمنين في وصف زهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**قد حقّر الدنيا وصغرها، وأهون بها وهونها، وعلم أن الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا**

[١٢١] ـ جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢٧٨/٢.
[١٢٢] ـ المصدر نفسه:٢٧٦/٢.

أو يرجو فيها مقاما)[١٢٣]. وقال أيضا: **(فتأس بنبيك الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضما، ولم يعرها طرفا، أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخمصهم من الدنيا بطنا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئا فأبغضه، وحقر شيئا فحقره، وصغر شيئا فصغره، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله و تعظيما ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن أمر الله. ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركل الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير، فيقول: يا فلانة _ لإحدى زوجاته_ غيبه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخرفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا، ولا يعتقدها قرارا، ولا يرجو فيها مقاما، فأحرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده. ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخرفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا بذلك أم أهانه،فإن قال أهانه فقد كذب والله العظيم بالأفك العظيم، وإن قال أكرمه**

[١٢٣] ـ سيرة الرسول الأعظم في نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني:٤٠

فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه. فتأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علما للساعة ومبشرا للجنة، ومنذرا بالعقوبة، حتى خرج من الدنيا خميصا، وورد الآخرة سليما، لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها عنك، فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى)[١٢٤]

وزهده صلى الله عليه وآله منقطع النظير، فقد روي عن أنس بن مالك أن فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ فقالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي أتيتك بهذه الكسرة. فقال: أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام [١٢٥]

وذكر بعضهم إشكالا مفاده أن زهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بسبب وجوده في شبه الجزيرة العربية والتي كانت موارد الزراعة والصناعة والتجارة فيها قليلة جدا، ومن هنا كان الناس يكتفون بالقليل من

---

[١٢٤] ــ سيرة الرسول الأعظم في نهج البلاغة: ٤٠ ــ ٤٢.
[١٢٥] ــ أعلام الهداية محمد المصطفى: ٤٤ ــ ٤٥.

المأكل والملبس والمسكن، لأنهم لا يستطيعون أكثر من ذلك، وبذلك يكون الزهد تجاوبا مع الظروف المعيشية؟

وقد أجاب عن هذا الإشكال السيد الشهيد محمد الصدر بأربع وجوه نذكرها تباعا[١٢٦]

أولا: إن الظروف لم تكن صعبة لهذه الدرجة، وكانت التجارة السنوية بين مكة المكرمة والشام ومكة واليمن ناجحة ورابحة: ((رحلة الشتاء والصيف))(قريش:٢)، وكان هناك عدد من المتمولين الأثرياء في عصر الجاهلية وصدر الإسلام

ثانيا: إن المعصومين سلام الله عليهم، كانوا يستطيعون أن يكونوا من المتمولين دنيويا لو أرادوا ذلك، ولكنهم رفضوا عن قناعة وعمد.

ثالثا: إن زهدهم سلام الله عليهم، كان أكثر من ظروفهم مهما كانت صعبة، ولو كانوا تبعا للظروف لما فعلوا ذلك بكل تأكيد، ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر أحدى زوجاته بإماطة القماش الذي عليه التصاوير لأنه يذكره بالدنيا، وكذا مدرعة أمير المؤمنين عليه السلام التي كان يرقعها حتى استحى من راقعها.

رابعا: إنه يصادف خلال الأجيال أن يمر بعض المجتمعات المسلمة في أزمات اقتصادية وفقر ومصاعب، ومع ذلك يستغيثون ويعترضون على القضاء والقدر ولعن الظروف القاسية، ولن ترى منهم إلا الاشمئزاز وقلة

[١٢٦] ـ ينظر: فقه الأخلاق:٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٦.

الصبر. وإن قلت أن العرب في الجزيرة العربية كانوا متعودين على التقشف. قلنا: كلا فإن صورة الترف والثروة معروفة لديهم جميعا، وكان في مجتمعهم من هو ثري يعيش بالبذخ والإسراف، فضلا عن الأخبار التي عن دول الأكاسرة والقياصرة وما فيها من رفاهٍ وحضارة.

ويجب أن نعلم أن للزهد درجات منها: الزهد عن الدنيا ومغرياتها، والزهد عن متع النفس، والزهد عن جميع ما سوى الله تعالى[١٢٧]. وزهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو من النوع الثالث وهو الزهد عن جميع ما سوى الله تعالى، ويبين ذلك ما ذكرنا في عبادته وانقطاعه إلى الله تعالى.

---

[١٢٧] ـ ينظر: جامع السعادات: ٢/ ٢٨٠ ــ ٢٨١.

أخلاقه:

حسن الخلق ملاك الفضائل ونظام عقدها، ومحور فلكها وأكثرها إعدادا وتأهيلا لكسب المحامد ونيل المحبة[١٢٨] وحسن الخلق هو **(الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على الانتهاء في كمالها إلى غايتها حتى أثنى الله عليه فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم:٤))**[١٢٩] لذا أعظم الخلق أخلاقا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكارمه أكثر من أن تسطر وأجل من أن تدرك، وكيف يمكن إدراك مكارم من هو حبيب إله العالمين، وخير الخلق أجمعين، وخاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام الأئمة الهداة المهديين[١٣٠]

وسنذكر بعض الروايات الدالة على عظمة خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. منها: **(قال الحسين بن علي: سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءا لله عز و جل، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة والخاصة ولا يدخر عنهم شيئا. فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم**

---

[١٢٨] ـ ينظر: أخلاق أهل البيت، السيد مهدي الصدر:٩.
[١٢٩] ـ كحل البصر في سيرة سيد البشر، الشيخ عباس القمي:٨٦.
[١٣٠] ـ ينظر: النور الأول الرسول الأكرم: ٩.

ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوني في حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته فإنه أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون زوارا، ولا يفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة فقهاء... قال: فسألته عن مجلسه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل اسمه، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطائها وإذا انتهى إلى قوم حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كلا من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فكان لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى، متواضعون، يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثؤون ذا الحاجة ويحفظون الغريب... قال: قلت: كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أربعة: على الحلم والحذر والتقدير والتفكير، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم والصبر، فكان لا

يغضبه شيء ولا يستنفره، وجمع له الحذر في أربعة: أخذه بالحسن ليقتدي به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاده فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة)[١٣١]

وأيضا رواية أمير المؤمنين الجامعة لأخلاق رسول الله حتى تكون لنا برنامجا عمليا للسير على نهجه وسنته ، قال: **(ما صافح رسول الله أحدا قط فنزع صلى الله عليه وآله وسلم يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت، وما رئي مقدما رجله بين يدي جليس قط، ولا خيّر بين أمرين إلا أخذ بأشدهما، وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى، وما أكل متكئا قط حتى فارق الدنيا، وما سئل شيئا قط فقال لا، وما ردّ سائل حاجة قط إلا بها أو بميسور من القول، وكان أخف الناس صلاة في تمام، وكان أقصر الناس خطبة وأقلهم هذرا، وكان يعرف بالريح الطيب إذا أقبل، وكان إذا أكل مع القوم كان أول من يبدأ وآخر من يرفع يده، وكان إذا أكل أكل مما يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده،وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس، وكان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا، وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه، فكان لا يأخذ إلا بيمينه، ولا يعطي إلا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه، وكان يحب التيمن في كل أموره: في لبسه وتنعله**

---

[١٣١] ــ مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي: ٨ ــ ٩.

وترجله،وكان إذا دعاء دعا ثلاثا، وإذا تكلم تكلم وترا وإذا أستأذن أستأذن ثلاثا، وكان كلامه فصلا يتبينه كل من سمعه، وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وإذا رأيته قلت: أفلج الثنيتين وليس بأفلج، وكان نظره اللحظ بعينه، وكان لا يكلم أحدا بشيء يكرهه، وكان إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكان يقول: إن خياركم أحسنكم أخلاقا، وكان لا يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده، وكان المحدث عنه يقول: لم أرَ مثله قبله ولا بعده صلى الله عليه وآله وسلم)[١٣٢]

ومن قصص أخلاقه ما روي عن أنس أنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة، حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا مال أبيك. فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده، ثم قال: ويقاد منك يا إعرابي ما فعلت بي؟ قال: لا. قال: لمَ ؟ قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرا، وعلى الآخر تمرا[١٣٣]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن يهوديا كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك. فقال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تقضيني. فقال:

---

[١٣٢] ــ مكارم الأخلاق:١٤ ــ ١٥.

[١٣٣] ــ أخلاق أهل البيت: ١١.

إذن أجلس معك. فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يهددونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله إليهم وقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟ فقال: لم يبعثني ربي عز و جل بأن أظلم معاهدا ولا غيره. فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب، ولا متزين بالفحش، ولا قول الخنا. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهودي كثير المال[١٣٤]

واجتمعت جميع الأخلاق العظيمة في شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالحلم وكظم الغيظ، والجود والكرم والسخاء، والشجاعة، والحياء والإغضاء، والرأفة والرحمة لجميع الخلق، و الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم، و تواضعه وعدالته وأمانته وعفته، وصدق لهجته، ووقاره وصمته... الخ وفي كل هذه الأخلاق قصص وروايات نتركها ونكتفي بما ذكرنا من رواية أمير المؤمنين عليه السلام[١٣٥]

---

[١٣٤] ـ أخلاق أهل البيت: ١٢.
[١٣٥] ـ ينظر تفاصيل الروايات والقصص في : كحل البصر في سيرة سيد البشر: ٨٥ ــ ١١٣.

أعجاز شخصية رسول الله في عظمة شريعته:

نشأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيما في العصر الجاهلي، ولم يجتمع بأحد العلماء ولا الحكماء ولا الكهنة، ولم يعش في بلده من يعرف لغة الشرع والقانون فضلا عن العلوم والمعارف، ثم جاء بكتاب عظيم وبلاغته أعجزت أفصح وأبلغ العرب، مع ما فيه من علوم ومعارف ، وأخبار عن الغيب وأحكام وتشريعات عبادية ومعاملية وجزائية كاملة لجميع البشرية في جميع البلدان على مختلف العصور[١٣٦]

و القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم لعقائد الناس فقد (**نزل القران، فنزه الله عن جميع الأوهام، وأعلن أنه أحد منزه عن التركيب العقلي و الوهمي والحسي، وأنه بذاته غني عن كل شيء، وما سواه فقير محتاج إليه بالذات، ونزه ساحته المقدسة عن كل أنواع التوليد العقلي والحسي، وبيّن أن الموجودات وجدت بقدرته، وخلقت بمشيئته، وأنه لا كفؤ له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ونزلت أكثر من ألف آية في القران الكريم في معرفة الله، وصفاته العليل، وأسمائه الحسنى)**[١٣٧] ولعظمة شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعجازها سنبحث بإيجاز بعض خصائصها.

---

١٣٦ ـ ينظر: مبادئ وأصول المعارف الإلهية دراسة منهجية مقارنة: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

١٣٧ ـ مقدمة في أصول الدين، الشيخ حسين الوحيد الخراساني: ٧٥.

سمو التعاليم الإسلامية وخلودها:

رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسالة متكاملة وشريعة قيمة، وذات أبعاد في الحقوق والواجبات توطن للفرد المسلم العيشة الكريمة في الدنيا والآخرة. و (**بعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأن أحد ليس خيرا من أحد إلا بالتقوى، وبالأخوة بين المؤمنين وبالكفاءة بينهم، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وبالعفو العام عمن دخل في الإسلام. وسنّ شريعة باهرة وقانونا عادلا تلقاه عن الله تعالى فكان هذا القانون جامعا لأحكام عبادتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشرهم ومعادهم وكان عباديا اجتماعيا سياسيا أخلاقيا لا يشذ عنه شيء مما يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلا ويحتاج بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلا ولها في الشريعة الإسلامية أصل مسلم عند ترجع إليه**)[١٣٨]

والشريعة الإسلامية لشموليتها وإحاطتها فهي بذلك خاتمة الشرائع وخاتمة الديانات، ولذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث الرسائل لرؤساء وملوك الدول القائمة في ذلك العصر، أمثال قيصر الروم، وشاه إيران، وحكام مصر والشام والحبشة، ورؤساء القبائل العربية، ودعاهم لاعتناق هذا الدين ، وحذرهم من مفاسد الكفر والمساوئ[١٣٩]

---

[١٣٨] ـ أعلام الهداية محمد المصطفى: ٢١٢.

[١٣٩] ـ ينظر: دروس تمهيدية في العقيدة الإسلامية: ٢/ ٣٢٤.

قال السيد الشهيد محمد الصدر: (**إن هذا التشريع حينما نعرفه موجودا ومستمرا من عصر الإسلام إلى يوم القيامة، ألا نعلم أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة، حينئذ أنا أقول... إن استمرار التشريع بهذا الشكل، وبهذه المدة المطولة جدا، التي قد تصل إلى مليون سنة، أو ملايين السنين، الله العالم نحن الآن ألف وأربعمائة سنة على الإسلام، ربما تأتي أجيال تجدنا: أننا قريبون من عصر الإسلام، لأنه مثلا نصف مليون فاصل، مليون فاصل، مليونان فاصل، ألف وأربعمائة سنة ماهي قيمتها حبيبي؟ نحن قريبون ذاك اليوم كان النبي مبعوث صلى الله عليه وآله وسلم أي باصطلاح أولئك... إن تشريعا يبقى بهذه السعة، في الطول الزماني، وفي السعة المكانية، ويعالج كل النفوس والعقول، وكل المشكلات الاجتماعية، وكل المشكلات الاقتصادية، وكل المجتمعات على اختلاف لغاتها وارتكازاتها وعاداتها، واختلافات متباينة إلى درجة عجيبة، يأتي واحد من جزيرة العرب يدّعي أنه أنا كفيل العدل عندكم جميعا وإلى يوم القيامة، كيف يصح ذلك؟ إنما هي معجزة رب العالمين**)[١٤٠]

وبعد هذا البيان نذكر شبهة أثارها البعض مفادها يمكن للشريعة أن تستمر في كل عصر مع تجدد النبوات، فلماذا ختمت النبوات بمحمد بن عبد الله؟

[١٤٠] ـ دستور الصدر: ١٤٤ ــ ١٤٥.

وجواب ذلك يرجع إلى أربعة أسباب ذكرها السيد محمد باقر الصدر نذكرها بتصرف[١٤١]

السبب الأول: استفاد غرض النبوة:

عندما تكون النبوة في طبيعة تركيبها قد جاءت لعلاج مرض معين طارئ في حياة الإنسان تكون في طبيعتها رسالة قد صممت لهذا الغرض. وعندما تكون كذلك، وتدخل شوط عملها وجهادها، وتكافح في سبيل استئصال هذا المرض، وبذلك تكون الرسالة مستفيدة لأغراضها. ومثال ذلك الديانة المسيحية التي تتجه إلى نزعة روحية مفرطة وتركز على الجانب الغيبي بدرجة أكبر من أي جانب من جوانب الحياة، وجعل النفس منقطعة عن علائق الدنيا، هذا المرض جعل الإنسان اليهودي مشدودا إلى ديناره؛ لذا فالديانة المسيحية عالجت هذه الحالة المرضية في زمان معين واستنفدت أغراضها.

السبب الثاني: انقطاع تراث النبوة:

من جملة الأسباب المعقولة لتغيير النبوة هو ألا يبقى منها تراث يمكن أن يقام على أساس العمل والبناء. وهذا حدث في الديانات السابقة إذ بقيت النبوة مجرد مسألة تاريخية، وشعار غامض، دون أي كيان فكري مفاهيمي محدد في أذهان القاعدة الشعبية المرتبطة بتلك النبوة. وهذا السبب واضح

[١٤١] ـ ينظر: أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر: ١٨ ــ ٢٥.

بصورة كبيرة في المسيحية، فبعد أن غادر عيسى بن مريم عليه السلام مسرح الدعوة والعمل لم يبق من المسيحية شيء حقيقي، وقد انطفأت الأناجيل فلم يكن طلاب المسيح قادرين على حماية التراث الباقي في أذهانهم.

السبب الثالث: محدودية نفس النبي:

النبي وإن كان مفهوما عاما إلا أن هذا المفهوم يصدق على أفراد بالتشكيك كما يقول المناطقة. وهناك روايات تقول نبي للبشرية، ونبي للجماعة، ونبي للقبيلة، ولذا تختلف النبوات من حيث السعة والضيق باختلاف طبيعة النبي نفسه. ومحدودية الكفاءة القيادية في المجال الفكري والعملي مما يؤثر على تحديد الرسالة التي يحملها النبي. ومن المعروف أن الأنبياء كغيرهم من الناس يتفاوتون في درجات تلقيهم للمعارف الإلهية عن طريق الوحي، وبذلك تكون الرسالات محدودة بحكم محدودية قابلية الأنبياء أنفسهم، وإذا كانت النبوة محدودة بطبيعة قابلية النبي كان لا بدّ في خارج هذه الحدود الزمانية أو المكانية من نبوة أخرى تمارس عملها في سبيل الله.

السبب الرابع: تطور الإنسان المدعو:

الإنسان المدعو يتصاعد بالتدريج لا بالطفرة، وينمو على مر الزمان في أحضان الرسالات الإلهية فيكتسب من كل رسالة إلهية درجة من النمو تعده لكي يكون على مستوى الرسالة الجديدة، وأعبائها الكبيرة. وتتمثل فكرة

التطور لدى الإنسان بخط وعي التوحيد، وخط المسؤولية الأخلاقية، وخط السيطرة على الكون. والنبوة ترتبط بخط وعي التوحيد وخط المسؤولية الأخلاقية، أما خط السيطرة على الكون فهو مرتبط بالإنسان نفسه. وبذلك تستهدف النبوة قاعدة فكرية تتمثل ببناء الإنسان داخليا، والإنسان بدوره يبني نفسه خارجيا.

الواجبات والمحرمات في الشريعة الإسلامية:

ترتكز الواجبات والمحرمات في الشريعة الإسلامية على أسس فطرية واقعية وأمور تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة التي جاءت لإخراج الإنسان من ظلمات الجاهلية والتخلف إلى نور الحق والكمال، و لا تحتاج الإنسانية إلى شيء يرتكز عليه الكمال البشري إلا وأوجبته الشريعة على الإنسان وهيأت له سبل الوصل إليه وسدت كل منافذ السقوط إلى الشقاء. ومع ذلك أباحت الطيبات ولذائذ الحياة مما لا يخل بمدارج الكمال البشري وحددت مع ذلك قنواتها حين حددت الأهداف السامية وحرمت ما يضر وأوجبت ما ينبغي للإنسان امتثاله[١٤٢])

وبذلك تكون شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكملة لشرائع الأنبياء السابقين، كونه خاتم النبيين وشريعته باقية إلى يوم القيامة، جاء في أصول الكافي: (**عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أعطى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفية السمحة ولا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد**

[١٤٢] ـ أعلام الهداية محمد المصطفى: ٢١٥ ـ ٢١٦.

في سبيل الله. وزاده الوضوء، وفضله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحل له المغنم والفيء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجدا وطهورا وأرسله إلى الأبيض والأسود والجن والإنس، وأعطاه الجزية، وأسر المشركين وفداهم، ثم كلف ما لم يكلف أحد من الأنبياء وأنزل عليه سيف من السماء، في غير غمد وقيل له: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)[١٤٣]

وهذه الرواية جامعة لعقائد الشريعة الإسلامية ولإحكامها، مع بيان تميز الشريعة الإسلامية على سائر الشرائع السابقة، وبهذا يتضح أعجاز شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظمة شريعته.

وكمثال على عظمة التشريع الإسلامي، نذكر آيات من سورة الإسراء: **((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك**

[١٤٣] ـ أصول الكافي: ٢/ ٤٣٣.

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها))(الإسراء:٢٣ ــ٣٩)

تمثل هذه الآيات نظاما متكاملا في تعامل الفرد في الولدين ومع المجتمع وتحرم كل ما يخل في النظام الاجتماعي كقتل الأولاد خشية الفقر والنهي عن البخل والتبذير والزنا والقتل والأكل مال اليتيم والبخس في الميزان، كما تقوم أخلاق الإنسان وتنبذ التكبر والتغطرس.(١٤٤)

وشرائع الإسلام تخضع لفلسفة خاصة لتربية الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة، لذا ذكرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فلسفة العقائد والأخلاق والأحكام الشرعية في خطبتها في المسجد النبوي بمحضر المهاجرين والأنصار إذ قالت: **(فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك،**

---

[١٤٤] ــ ينظر: مجمع البيان في تفسير القران: ١٨٠/٦ ــ ١٨٨.

والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا للفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الرحم منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرّم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية)[١٤٥]

وبذلك تكون الشريعة الإسلامية إنما هي لتنظيم شؤون الناس في كافة الجوانب، فهي تنظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته ببني جنسه، وعلاقته بكل ما في الكون من حوله، لذا جاءت الشريعة متكاملة، وهي بذلك دليل على عظمة صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم[١٤٦]

---

[١٤٥] ـ ولأي الأمور تدفن سرا بضعة المصطفى ويعفى ثراها: ٣٠٩

[١٤٦] ـ ينظر: خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، الدكتور إسماعيل علي محمد: ٧٥.

أعجاز شخصية رسول الله في عظمة أصحابه:

إن من أكبر دلائل أعجاز شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تصديق الإمام علي عليه السلام له، وتضحياته الجسام في سبيل نصرته، فقد اتفق العقلاء على عظمة شخصية الإمام علي عليه السلام الفائقة في العلم والعمل والملكات النفسية، ومثله لا يعقل أن يؤمن برسالة ويتبعها ويضحي لأجلها دون حق[١٤٧]

إن الكتب التي كُتبت عن أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من أن تحصى في مجالات شتى وهي تترجم لشخصيته وسيرته وأتباعه لرسول الله صلى الله عليه وآله أتباع الفصيل أثر أمه؛ لذا سنذكر هنا ما يناسب البحث فقط على نحو الإشارة و الإيجاز الشديد. من ذلك فقد جعل الله تبارك و تعالى أمير المؤمنين عليه السلام شاهدا على رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ((**ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**))(الرعد: ٤٣)، جاء في تفسير البرهان في تفسيره لهذه الآية قوله : (**عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) فقال: نزلت في علي**

---

١٤٧ ـ ينظر: مبادئ وأصول المعارف الإلهية دراسة منهجية مقاربة: ٢٢٦.

عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الأئمة بعده، وعلي عليه السلام عنده علم الكتاب)[١٤٨]

وعظمة أمير المؤمنين عليه السلام غير متناهية، ولا يمكن لنا أن نذكر قطرة من محيطه المتلاطم، قال الشيخ الوحيد الخراساني وهو يتكلم عن عظمته: (**إن هذا البشر، هذا الإنسان، هذا الموجود، فوق مستوى العقل البشري... فها أنتم ترون إنا لم نستطيع أن نستوفي حديثا نبويا واحدا في حقه، ولا نستوعب ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقامه عليه السلام)**[١٤٩]

وبيّن السيد الشهيد محمد الصدر قول أمير المؤمنين عليه السلام : (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير) فقال : (**يقول: (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير) يمثل نفيه بالجبل العالي الأشم، والقمة الشامخة جدا ينحدر منها السيل، وهو سيل العلوم، والعطاء، والمواهب على البشرية بمقدار استحقاق كل فرد منها، فأنهم سلام الله عليهم أبواب الله، وخزان علمه، وأسباب رحمته، وأولى من يكون كذلك منهم هو جدهم، وأميرهم، وإمامهم، علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام. (ولا يرقى إليّ الطير) يعني حسب فهمي، ولكل واحد فهمه، يعني المتكاملين الصاعدين في درجات الكمال، يمثلهم بالطير الذي يستمر في صعوده، والمتكاملون من البشرية على أشكال مختلفة،**

---

[١٤٨] ـ البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ٣/٢٧٦.

[١٤٩] ـ الحق المبين في معرفة المعصومين، الشيخ الوحيد الخراساني:٨١.

واتجاهات متباينة، فإن كل ملكات الإنسان قابلة للتكامل على مختلف المستويات، وبأسباب مختلف العلوم جسديا، ونفسيا، وروحيا وغير ذلك، وأعلاها طبعا، وأهمها هو الكمال النوراني في عالم الروح، فهو أمير المؤمنين عليه السلام يمثل الصاعدين في هذا المجال كالطير، وأنهم لا يُحتمل أن يرقوا إليه، أو يصلوا إلى مرتبته (ولا يرقى إليّ الطير) وإنما غاية ما لديهم، أنهم لا يتكاملون إلا بحبه وولايته، ولا يأتيهم عطاء حقيقي إلا بتسبيبه وشفاعته، والمميزات التي أنفرد بها أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة جدا دنيويا وأخرويا، فالذي يمكن القول أنه أنفرد بكل مميزاته، وعالي بكل أوصافه، وإن كانت هذه الأوصاف موجودة عند البشر إلا أنه بالنسبة إلى مرتبته لا يماثله فيها أحد، وخاصة إذا قصدنا مرتبة الكمال الحاصل عليها في أي حقل من حقول المعرفة بأزاء الأشخاص الآخرين غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن تلك المزية من الكمال هي أرقى من الجميع)[١٥٠]

ونوجز الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام وعلاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذكر نص من دعاء الندبة، إذ قال الإمام المهدي عجل الله فرجه: **(فلما أنقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هاديا إذ كان هو المنذر ولكل قوم هادٍ فقال والملأ أمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. وقال: من كنت أنا نبيه فعلي**

---

[١٥٠] ـ دستور الصدر: ٣٢٦.

أميره. وقال: أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى. وأحله محل هارون من موسى فقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين. وأحل له من مسجده ما حلّ له. وسد الأبواب إلا بابه، ثم أودعه علمه وحكمته فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها، ثم قال: أنت أخي ووصي ووارثي لحمك من لحمي ودمك من دمي وسلمك من سلمي وحربك حربي والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنت غدا على الحوض خليفتي وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي وشيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني ولولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي. وكان بعده هدى من الضلال ونورا من العمى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم ولا يلحق في منقبة من مناقبه، يحذو حذو الرسول صلى الله عليهما وآلهما ويقاتل على التأويل ولا تأخذه في الله لومة لائم قد وتر فيه صناديد العرب وقتل أبطالهم وناوش ذؤبانهم فأودع قلوبهم أحقادا بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهن فأضبت على عداوته وأكبت على منابذته حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[١٥١]

---

[١٥١] ـ مفاتيح الجنان: ٦١١.

الفصل الثالث: موارد ذكر رسول اللّه في الفقه

- كتاب الطهارة
- كتاب الصلاة
- كتاب الصوم
- كتاب الخمس

الفصل الثالث: موارد ذكر رسول الله في الفقه

توطئة:

لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيَه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بخصائصٍ ينفردُ بها عن سائر الأنبياء، منها أنَّه حبيبه، والحبُ لا يأتي إلا من طريق المعرفة، فنحنُ لا نتعلق بأحدٍ إلا إذا عرفناه، فامرأة عزيز مصر أحبّت النبي يوسف لأنه عاشَ سنيناً عندهم وشغفها حبّاً فكيف مَن كان الله سبحانه ساكناً في دمه وروحه وكيانه، نعم هم وجدوا الله وفقدوا كلَّ الدنيا فلم يُبالوا مثلَ ما قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عَرَفة : (**إلهي ماذا فقدَ مَن وجدك وماذا وجدَ من فقدك**).

والحبيب يُقدِّم روحَه أمام محبوبه والله سبحانه هو وحدَه يكونُ أحقُّ بالعشق ومن ثمَّ الأولياء والصالحين ، قال الشاعر :

أحُبُّكَ حُبين حبَّ الهوى وحُبَّاً لأنَّك أهـــلٌ لذاكا

فلا الحمدُ في ذا ولا ذاكَ لي ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

فرسول الله صلى الله عليه وآله قريبٌ من الباري تعالى، ونلمسُ ذلك في حقوقه صلى الله عليه وآله في الشريعة المقدّسة و الخطاب القرآني، ومدى أهمية الرسول الكريم عند الله واهتمامه به، نحو قوله تعالى: (**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**) (طه: ١ـ ٢)، وقوله تعالى: (**يا أيها النبيُّ حرَّضِ المؤمنين على القتال**) (الأنفال : ٦٥) وغيرهما كثير، لأنَّه

صلى الله عليه وآله وسلم لا يمثلُ نفسَه بل يمثل الله تعالى؛ لذا نجد الاهتمام من ناحية الأحكام الشرعية التي سيتعرض لها البحث إن شاء الله تعالى .

و نشرع في الحقوق الشرعية في العبادات فقط، مُشرعين من الطهارة إلى الخمس، وفقَ رسالة منهاج الصالحين السيد أبو القاسم الخوئي.

كتاب الطهارة:

قال السيد الخوئي: **(لا يجوز للمُحدث مَس كتابة القرآن، حتى المد والتشديد ونحوهما ولا مس اسم الجلالة وسائر أسمائه وصفاته على الأحوط وجوباً ، والأولى إلحاق أسماء الأنبياء والأوصياء وسيدة النساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين به)**[١٥٢].

و الطهارة لغةً: إزالة النجاسة سواء كانت مادية أو معنوية ذكر الراغب في مفرداته: **(مصدر الفعل طهر يتطهر فهو طاهر ، وطهرت المرأة إذا غسلت من الحيض ، و الطهارة على قسمين : طهارة جسم وطهارة روح ، والمراد من الطهارة –هنا – الطهارة المعنوية – طهارة النفس– قال تعالى : (رجالٌ يُحبون أن يتطهروا)[التوبة: ١٠٨])**[١٥٣]

وإذا تقرَّرَ هذا نقول: إنَّ الحدث والطهارة ضدَّان لا يجتمعان فليس للمحدثِ أن يمسَ الطاهر ، وإنْ لم يكن إلحاق أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة واجباً ؛ لأنّ الأولى – استحباباً– لأنَّ أهلَ البيت – عليهم السلام– مطهرون ، قال تعالى : **(إنَّما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب : ٣٣]** ، والتطهير مصدر – مفعول مطلق – للتوكيد الذي يدلُّ على الطهارة من أيِّ دنسٍ ورذيلة ، وكذا إذهاب الرجس وذلك لصيغتي المضارع " يريد ، يذهب" فهم مطهرون – سلام الله عليهم– قال الشاعر:

---

[١٥٢] ـ منهاج الصاحين، السيد أبو القاسم الخوئي: ٤٤/١.

[١٥٣] ـ معجم مفردات ألفاظ القران، الراغب الأصفهاني: ٣١٧.

مطهرون نقياتٌ جيوبهمُ　　　　تأتي الصلاةُ عليهم أينما ذُكروا

وأهل البيت هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين كما ذكرنا سابقا، قال الشيخ الطوسي : (**روى أبو سعيد الخدري وأنس ابن مالك وعائشة وأم سلمة وواثلة بن الأسقع أنَّ الآية نزلت في النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– وعلي وفاطمة والحسن والحسين**)[١٥٤].

جاء في مباني منهاج الصالحين: (**لا إشكال في الأولوية فإنَّ الاحتياط حسن**)[١٥٥] يعني الاستحباب جاء من طريق قاعدة الاحتياط.

وإذا كان المكلَّفُ مجنباً فلا يجوز له اللبث في المساجد (**ومما يتوقف صحته أو جوازه على غسل الجنابة اللبث في المساجد ، بل مطلق الدخول فيها ، وإنْ كان لوضع شيءٍ فيها حال الاجتياز فيها بالدخول من باب مثلاً والخروج من آخر إلا في المسجدين الشريفين – المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأحوط وجوباً إلحاق المشاهد المشرفة بالمساجد في الأحكام المذكورة**)[١٥٦]

---

١٥٤ ــ التبيان في تفسير القران: ٣٣٩/٨.

١٥٥ ــ مباني منهاج الصالحين: ٤٣٧/١.

١٥٦ ــ منهاج الصالحين: ٤٨/١.

الجنابة مصدر أجنب إذا ابتعدَ عن الطهارة وعن الصلاة. قال تعالى: **(وإنْ كنتم جُنُباً فاطَّهروا) [المائدة :٦] وذلك** بإنزال الماء أو التقاء الختانين [١٥٧]

و الابتعاد عن الطهارة يستلزم الابتعاد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و استدلَ الشيخ باقر الإيرواني على حرمة دخول المجنب المسجد بقوله : " **ويدُلُّ على حرمة الدخول لا بنحو الاجتياز الذي لا يتحقق إلا بالدخول من باب والخروج من آخر ، ولكن الوارد في رواية جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام : للجنب أن يمشي في المساجد كلِّها ولا يجلس فيها إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " وعنوان المشي لا يتوقف على افتراض بابين والدخول من واحد والخروج من آخر ، وأمّا حرمة دخول المسجدين ولو اجتيازاً فلصحيح جميل بن دراج : " سألتُ أبا عبد الله – عليه السلام– عن الجنب يجلس في المساجد ؟ قال : لا ، ولكن يمرُّ فيها كلِّها إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)**[١٥٨].

و جاء في فروع الكافي : **(علي بن أبي إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عُمير عن جميل ، قال: سألت أبا عبد الله –عليه السلام– عن**

---

١٥٧ ــ معجم مفردات ألفاظ القران: ٩٨.

١٥٨ ــ الفقه الاستدلالي، الشيخ باقر الإيرواني: ٦١/١.

الجنب يجلس في المساجد ؟ قال لا ، ولكن يمر فيها كلِّها إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم)[١٥٩]

ولا ينبغي للجنب دخول بيوت الأنبياء – لاسيما مسجد الرسول – ، جاء في دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي : **(وأما المشاهد المشرفة فقد قيل بإلحاقها المساجد ، إمَّا : لأن روح المسجدية – وهي شرافة المكان وكونه محلاً للعبادة متحققة فيها بنحوٍ أتم أو لأن ترك مكث الجنب ودخوله فيها نحوٌ من تعظيم لشعائر الله سبحانه التي هي من تقوى القلوب أو لصحيحة بكر بن محمد : " خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبد الله – عليه السلام– فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق وهو جُنُب حتى إذا دخلنا على أبي عبد الله– عليه السلام– قال : فرفع رأسه إلى أبي بصير فقال : يا أبا محمد أما تعلم أنه لا ينبغي لجُنُبٍ أن يدخل بيوت الأنبياء ، قال : فرجع أبو بصير ودخلنا**

والكل كما ترى أمّا الأول فالاحتمال الخصوصية لعنوان المسجدية ، وأما الثاني فلأن تعظيم شعائر الله سبحانه بجميع مراتبه ليس واجباً ،وأما الثالث فلعدم ظهور جملة لا ينبغي" في الحرمة ، وعليه فالإلحاق لا بدَّ وأن يكون مبنياً على الاحتياط دون الفتوى)[١٦٠]. وهذا يعني أن

[١٥٩] ـ فروع الكافي، الشيخ الكليني: ٣٩/٣.

[١٦٠] ـ الفقه الاستدلالي: ١/ ٦٢.

الطهارة سبيل للوصول إلى مدارج الكمال ومنهج الصالحين، وهي أيضا تعظيم لشرفية المتكاملين.

والتطهير من الدنس الحكمي لا المادي الذي دلَّت الروايات عليه ، منها (**عن كليب الصيداوي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مكتوب في التوراة أنَّ بيوتي في الأرض المساجد ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ألا إن على المزور كرامة الزائر ، وعن مرازم بن حكيم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : عليكم بإتيان المساجد فإنها بيوت الله في الأرض من أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكُتِبَ من زواره ، وهذه الأخبار عموماً خاصَّة بالوضوء ، لكنها تشمل الغسل ، ويخص الغسل عدَّة ألسنة وأساليب منها ما أفتى به الفقهاء وجاءت به ألسنة من منع الجنب والحائض من المساجد وقراءة القرآن ولمس الأسماء المقدسة لله عزَّ وجل وأوليائه ، ولو على وجه الكراهة ولولا الحالة المعنوية لكان تعبداً غير مفهوم**)[١٦١]

وإذا كان اسم الله أو النبي أو سائر الأنبياء مكتوباً على الدراهم فيجوز للجنب مسها، قال: (**ومتى حصلت الجنابة لمكلف تعلَّقت به الأحكام المذكورة فيحرم عليه قراءة العزائم الأربعة... ومس خط المصحف أو اسم النبي أو أحد الأئمة عليهم السلام المقصود بالكتابة ولو على درهم في المشهور، وقوله في المشهور: إشارة إلى القول غير**

[١٦١] ــ ما وراء الفقه: ١/ ٦٤ ــ ٦٥.

المشهور في خصوص الدرهم والدينار لا في أصل الحكم، فإنَّ ظاهر بعض الروايات جواز مس الجنب أسامي الله تعالى ورسوله والأئمة إذا كانت مضروبة على الدراهم والدنانير)[١٦٢]

وتُستحبُّ الصلاة على محمد وآل محمد عند ذكر اسمه الشريف ؛ لورود الروايات منها (**ما رواه زرارة عن أبي جعفرٍ – عليه السلام– في حديثٍ قال : وصلِّ على النبي كلَّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذانٍ أو إقامة)**[١٦٣]

إنَّ المعنى اللغوي للصلاة الدعاء، مصدر الفعل صَلا والصلي إيقاد النار ، وصَلَّيتُ العودَ إذا ليَّنته وكذا العبدُ يلين ويذوب في الصلاة ، وقال كثيرٌ من أهل اللغة إنها الدعاء والتبريك إذا كانت من العبد والملائكة ، أما الصلاة من الله فهي التحقيق والتزكية[١٦٤]

وذكر فقهاؤنا الأعلام أنَّه يستثنى من كراهة التكلم حين التخلي ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمعَ اسمه ، وعن بعض الفقهاء وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله حينَ سماع اسمه ، وهو شامل لحال التخلي أيضاً[١٦٥]

---

١٦٢ ـ الجواهر الفخرية: ٢٦٦/١ ـ ٢٦٧.
١٦٣ ـ مباني منهاج الصالحين: ٢٨٤/٤.
١٦٤ ـ ينظر: معجم مفردات ألفاظ القران: ٢٩٣.
١٦٥ ـ ينظر:الجواهر الفخرية: ٢٥٦.

قال تعالى : (إنَّ الله وملائكتَه يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما) [الأحزاب : ٥٦]

ومن القرّاء من قرأ " فصلوا" وجاز دخول الفاء لما في الكلام من معنى الشرط ؛ وذلك أنَّ الصلاة إنما وجبت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منّا ؛ لأن الله قد صلى عليه وملائكته ، فجرى عليه مجرى القائل قد أعطيتك فخذ ، فحصلَ وجوب الأخذ بسبب العطية وكذا يحصل وجوب الصلاة لأن الله سبحانه صلى عليه[١٦٦].

و **(قال أبو حمزة الثمالي حدَّثني السيدي وحميد بن سعد الأنصاري ، ويزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجزة ، قال : لمَّا نزلت هذه الآية قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال : قولوا : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيمَ وآل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد ، عن عبد الله بن مسعود قال : إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وآله فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنَّكم لا تدرون لعلَ ذلك يُعرض عليه ، قالوا فعلِّمنَا قال : قولوا : اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمدٍ عبدك ورسولك إمام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محمودا يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صلَّيت على**

---
[١٦٦] ـ ينظر: مجمع البيان في تفسير القران: ١٣٥/٨.

إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، وعن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية ، فقلت كيف صلاة الله على رسوله ؟ فقال : يا أبا محمد تزكيته في السموات العلى ، فقلت قد عرفت صلواتنا عليه ، فكيف التسليم ؟ فقال : هو التسليم له في الأمور)[١٦٧]

وذكر الزمخشري إنَّ الصلاة على محمد وآل محمد واجبة ، قوله : **(فإنْ قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجبة أم مندوبٌ إليها ؟ قلت : بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها ، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ، ويروى أنَّه قيل: يا رسول الله أرأيتَ قول الله تعالى: إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي ، فقال صلى الله عليه وآله : هذا من العلم المكنون ولولا أنَّكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ، إنَّ الله وكَّلَ بي ملكين فلا أُذكرُ عندَ عبدٍ مسلمٍ فيصلي عليَّ إلا إذا قال ذانك الملكان: غفر الله لك، و قال الله وملائكته لذينك الملكين :آمين)**[١٦٨].

وعن النبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم قال : لاتصلوا عليَّ الصلاة البتراء ، فقالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال: تقولون : اللهم صلِّ على محمد وتمسكون ، بل قولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، ومن فقهاء العامَّة من أوجبها كأحمد بن حنبل والشافعي الذي أصدر فتواه من طريق الشعر قوله :

---

١٦٧ ــ مجمع البيان في تفسير القران: ١٣٨/٨.

١٦٨ ــ الكشاف: ٩٤/٥ ــ ٩٥.

يا أهلَ بيتِ رسول الله حبكم فرضٌ من الله بالقرآن أنزله

يكفيكمُ من عظيم الشأنِ أنَّكمُ من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة له

بيدَ أنَّ أبا حنيفة لم يجعلها واجبة ، والأحاديث من أهل السنة تدلُّ على وجوبها منها : ما وردَ عن عائشة أنَّها قالت : سمعتُ رسول الله يقول : لا تُقبَلُ صلاةٌ إلا بطهور وبالصلاة عليَّ [١٦٩]

إنّ صلاة الله سبحانه على نبيه مقرونة بلفظ الجلالة ومعطوفة مع الملائكة ما هي إلا تكريم وتبيين لمقامه صلى الله عليه وآله ، جاء في الأمثل : (**إنَّ مقام النبي –صلى الله عليه وآله – ومنزلته من العَظَمَة بمكان ، بحيث إنَّ خالق عالم الوجود ، وكل الملائكة الموكلين بتدبير أمر هذا العالم بأمر الله سبحانه يصلون عليه ، وإذا كان الأمر كذلك فضُّموا أصواتكم إلى نداء عالم الوجود هذا فـ (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما) إنه جوهرة نفيسة لعالم الخلقة ، وقد جُعِلَ بينكم بلطف الله ، فلا تستصغروا قدره ، ولا تنسوا مقامه ومنزلته عند الله وملائكة السموات ... إنَّه إنسانٌ ظهر من بينكم ، لكنَّه ليس إنساناً عاديَّاً ، بل هو إنسانٌ يتلخص عالم الوجود بوجوده**)[١٧٠]

---

[١٦٩] ـ ينظر: الأمثل في تفسير القران المنزل: ٤٧٤/١٠ ـ ٤٧٥.

[١٧٠] ـ المصدر نفسه: ٤٧٢/١٠.

فالصلاة على محمد وآل محمد من خصائص رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كما خصَّ إبراهيم بالخلَّة وسليمان بمنطق الطير وموسى بالمكالمة ، وداود بالخلافة ورسول الله كرَّمه بالصلاة عليه وعلى آله . ، وللصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله و سلم فوائد منها[١٧١]

١- الامتثال إلى أمر الله سبحانه وإطاعته ، قال تعالى : (**ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)** (الأحزاب : ٧١)

٢- التخلق بأخلاق الله ؛ لأننا نتقرب منه تعالى والحبيب يؤثر بحبيبه ، وهذا يؤدي إلى حصول الفيض الرباني .

٣- التشبه بالملائكة ؛ لأنَّهم يصلون أيضا .

٤- الدخول في سلام الله تعالى ، روي أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم جاء مبتشراً ذات يوم ، فقال : إنَّه جاءني جبرائيل فقال يقول الله تعالى : أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يُسلم عليك أحد من أمتك إلا وسلمتُ عليه عشراً.

٥- شمول صلاة الملائكة للمصلي : لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : إذا ذُكرَ النبيُ فأكثروا الصلاة عليه ، فإنّه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ، ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة

---

١٧١ ـ خزانة الأسرار في الختوم والأذكار، السيد محمد تقي المقدم: ٦٨ ــ ٩٢.

الله عليه وصلاة ملائكته ، ولا يرغب عن هذا إلا جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله .

٦- نيل صلوات المؤمنين ، فالمحب يُكثر من ذكر محبوبه .

٩- التقرّب من الله تعالى للرواية الواردة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله: إنما اتخذَ الله إبراهيمَ خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم .

١٠- القرب من الرسول صلى الله عليه وآله، لما روي عنه قوله: أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً.

١١- الشفاعة ، لما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الله سبحانه و تعالى يغفر الذنوب ببركة الاستغفار ، وأن من قال لا إله إلا الله ثقلت كفة حسناته وأن من صلى عليه كان له شفيعاً يوم القيامة.

١٢- دفع البلاء، لأن الأمم السابقة كانوا يتوسلون بأصحاب الكساء، فمن الأولى أن تستفيد هذه الأمة من الصلاة على محمد وآل محمد.

١٣- خير من عبادة عشرين ألف سنة ، وذلك مستندٌ للرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لمَّا عرج به إلى السماء ، وصلَ إلى السماء الرابعة رأى ملكاً يضع لوحاً أمامه فينظر فيه، وتسيل الدموع من مقلتيه كالنهر الجاري ، فلم يُعَظِّم النبي صلى الله عليه وآله فوكزه جبرائيل بجناحه ، فأتى وقبَّلَ ركاب النبي صلى الله عليه وآله

وسلم واعتذر منه لأن النور الذي كان يشع من اللوح شغله عن رؤيته ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله عمَّا هو مكتوب في اللوح، فأجاب : لا إله إلا الله محمد رسول الله عليٌ ولي الله، ثمَّ بيَّن ذلك الملك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان قد صلى ركعتين صلَّاهما في عشرين ألف عام بأمرٍ من الله، قضى خمسة آلاف عام في القيام ، وخمسة آلاف عام في الركوع وخمسة آلاف في السجود وخمسة آلاف عام في التشهد، وأهدى ثوابها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليعفو عن تقصيره، فردَّ عليه النبي أنه لا يحتاج إلى طاعته، فأهدى ثوابها إلى أمته، فردَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يظن أن أمته لا تحتاج إلى لذلك، لأن المذنب من أمته إذا صلَّى عليه مرَّة واحدة كان ثواب ذلك أكبر من صلاة العشرين ألف عام هذه .

١٤- لقضاء حوائج الدنيا والآخرة: روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: من قال في يوم مائة مرَّة ربِّ صلِّ على محمد وأهل بيته قضى الله له مائة حاجة، ثلاثون منها للدنيا وسبعون للآخرة.

١٥- لدفع الغيبة : روي أنَّ أحد الأولياء التقى مع إلياس والخضر عليهما السلام وشكى لهما كثرة الغيبة من الناس ، وأنه مهما ينصحهم ويمنعهم عنها لا يصغون له، فأشار إليه إلياس عليه السلام إذا أراد أحدكم دخول مجلسٍ ما فليقل: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمدٍ وآله. فإنَّ

الله سبحانه وتعالى يوكل بأهل ذلك المجلس ملكاً كلمَّا أراد أحدٌ منهم أن يغتاب أقعده ذلك الملك عن الغيبة . وغيرها كثير يُطلب من مظانّه .

إنَّ الجملة إذا كانت اسمية أفادت الاستمرارية ، أما إذا كانت فعلية فتفيد الحدوث والتجدد ، و(**سرُّ ذلك أنَّ الفعل مقيَّد بالزمن ، فالفعل الماضي مقيَّد بالزمن الماضي والمضارع مقيد بزمن الحال والاستقبال في الغالب في حين أنَّ الاسم غير مقيَّد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعَّم وأثبت ... وانظر إلى قوله تعالى : (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافّاتٍ ويقبضنّ) (الملك: ١٩) كيفَ فرَّقَ بينهما فلم يقل : صافَّاتٍ وقابضات أو يصففن ويقبضنَ وذلك أنّ الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ فكان الصف بصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت ، والقبض بصيغة الفعلية للدلالة على التجدد والحدوث**)[١٧٢].

ومن اللطيف فقد تحققّ الأمران ـ الثبوت والاستمرارية ـ في قوله تعالى: (إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي) ، وهذا يدلُّ على ثبوت الصلوات وتجددها، ثمَّ إنَّ ذكر لفظة النبي ما هيَّ إلا إشعارٌ بعظمته وخصوصيته صلى الله عليه وآله ، جاء في روح المعاني : (**والتعبير بالجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار، وذُكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث أنَّه جملة اسمية ، وتفيد التجدد نظراً**

١٧٢ ــ معاني الأبنية ،الدكتور فاضل السامرائي:١٢.

إلى عجزها من حيث أنه جملة فعلية فيكون مفادها استمرار الصلاة وتجددها وقتاً فوقتاً ، وتأكيدها ب "أنَّ" للاعتناء بشأن الخبر –يصلون–

وقيلَ لوقوعها في جواب سؤال مُقَدَّر هو ؟ ما سبب هذا التشريف العظيم ؟ وعبَّر بالنبي دون اسمه صلى الله عليه وسلم من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكَّدَ ذلك الإشعار بأل التي للغلبة ، إشارةً إلى أنَّه صلى الله عليه وسلم المعروف الحقيق بهذا الوصف ، وقيل وملائكته ولم يقل الملائكة إشارةً إلى عظيم قدرهم ومزيد شرفهم بإضافتهم إلى الله تعالى وذلك مستلزمٌ لتعظيمه صلى الله عليه وسلم بما يصلُ إليه منهم من حيثُ أنَّ العظيم لا يصدرُ منه إلا عظيم)[١٧٣]

لقد بخسَ أبناء العامّة آلَ البيت حقَّهم بحذفهم حرف العطف واسم المعطوف في الصلوات فقالوا: (اللهم صل على محمد) ؛ لأنَّ كيفية الصلاة كما قال الآلوسي – وهو من علمائهم– في كتابه روحِ المعاني ، قوله : (**وردَ عن كعب بن عجزة قال : قال رجلٌ يا رسول الله أمّا السلام فقد علمناه فكيف الصلاة عليك قال : قل : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيتَ على إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد**)[١٧٤].

---

[١٧٣] ـ روح المعاني، الآلوسي: ٧٥/٢٢ ـــ ٧٦.

[١٧٤] ـ المصدر نفسه

وقولهم: صلى الله عليه وسلَّم، فيه تأمُّلٌ وذلك من وجوه :

الأول: إنَّ الجملة الأولى خبرية وهي (إن الله وملائكته)، أما الثانية فهي إنشائية بالنداء في قوله تعالى: (يا أيها) وهي منفصلة بالتغاير المذكور.

الثاني: إنّ الله سبحانه والملائكة يصلون على النبي، وعلى الذين آمنوا الصلاة والتسليم .

الثالث: من معاني السلام هو قول السلام عليك أيها النبي، وللسلام معانٍ ثلاثة: أحدها السلامة من النقائص، ثانيها السلام مداوم على حفظك، ثالثها الانقياد إليك، على أنَّ السلام من المسالمة وعدم المخالفة[١٧٥].

والظاهر من السياق ليس معنى السلام هو قول السلام عليك أيها النبي ، وذلك لمجيء المصدر توكيداً للتسليم المطلق لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والالتزام بما يأمر والكف عن ما ينهى.

الرابع: إذا كان التسليم بمعنى الخضوع والانقياد فلا يصح عطف الفعل "سلِّم" على الله تعالى فالله تعالى مُنَزَّه عن الخضوع، فكيف يصحُّ قولهم: صلى الله عليه وسلَّم .

الخامس: إذا كان السلام من الله الأمن أو التحقيق أو الدعاء بالخير، فلا يصح أن يطلب الله من نفسه.

[١٧٥] ـ ينظر: روح المعاني: ٧٩/٢٢.

السادس : من الممكن أنْ يكون في الآية المباركة حذفاً للجار والمجرور – إليه– وذلك لوجود القرينة وهي (عليه)، والأصل : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليماً إليه، لأن التسليم معطوف على الصلاة وكلاهما يعودان على الضمير (الهاء) العائد على رسول الله صلى الله عليه وآله ،ولأنَّ على –هنا– تفيد الاستعلاء المجازي وهي تدلُّ على المنزلة الرفيعة له صلى الله عليه وآله ، وتدلُّ إلى من القول المحذوف المقدَّر– وسلموا تسليماً إليه– على الملكية ؛ لمرادفتها اللام ، نحو قوله تعالى : ((**والأمرُ إليك**)) (النمل : ٣٣)[١٧٦]

فبهذا ينتقضُ عطفهم الفعل " سلِّم" على الفعل " صلَّى" .

نعم إذا كان المقصود من الفعل " سلَّمَ " فعلاً ماضياً ، لا فعلَ أمرٍ " سلِّم" فإنَّه يجوز السلام من الله تعالى على العبد (**إذا كانَ رفيع المستوى في الإيمان ، كالأنبياء ونحوهم ، ففي عدد من الأخبار يوجد قول بعض الملائكة : العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخصُّك بالتحيةِ والإكرام ، وقد عرفنا أنَّ معنى السلام منه هو درجة من الرحمة بالمقدار الذي يعلمه جلَّ جلاله ، وهذا السلام لإيجاب بالجواب الاعتيادي ، باعتبار السبب الذي نقوله في المستوى الآتي ، وإنَّما يقول العبد في جوابه : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، ويشكر ربَّه على مثل ذلك الإكرام ، ومن أمثلة صدور السلام منه سبحانه قوله تعالى : (إنَّ الله**

[١٧٦] ـ ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ٦٠.

وملائكته يصلون على النبي) (الأحزاب : ٥٦) بعد العلم أنَّ الصلاة والسلام معاً ، ذواتا معنىً متقارب ، بصفتهما يُستَعملان للتحية)[١٧٧].

و هذه الصلوات إنمَّا جاءت جزاءً لما قدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تضحياتٍ؛ لأنَّه عرَّض نفسَه للمكروه لأجل الله تعالى على حدِّ تعبير الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية، في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قوله : **(والحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بمحمدٍ نبيه صلى الله عليه وآله دونَ الأمم الماضية والقرون السالفة بقدرته التي لا تعجزُ عن شيءٍ وإنْ عَظُم ، ولا يفوتها شيءٌ وإنْ لَطُف فختمَ بنا على جميع مَن ذرأَ وجعلَنا شهداءَ على مَن جَحَد ، وكَثَّرَنا بمنه على مَن قلَّ ، اللهمَّ فصلِّ على محمدٍ أمينك على وحيك ، ونجيبك من خلقك ، وصفيك من عبادك إمامِ الرحمةِ وقائدِ الخيرِ ومفتاحِ البركة ، كما نَصَبَ لأمرك نفسه ، وعَرَّضَ فيكَ للمكروه بدنه وكاشفَ في الدعاءِ إليّكَ حامَّته)**[١٧٨].

---

١٧٧ ــ فقه الأخلاق، السيد الشهيد محمد الصدر: ١/٢٢٢ ــ ٢٢٣.

١٧٨ ــ الصحيفة السجادية: ٢٦ ــ ٢٧.

التكفين:

لابدّ للميت من التكفين، ويستحب أن يُكتَبَ على حاشية الكفن: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأنَّ محمداً رسول الله، ثُمَّ يذكر الأئمة عليهم السلام واحداً بعدَ واحد[179]

و من مستحبات التكفين كتابة الشهادتين وأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، جاء في الجواهر الفخرية: (**وكتابة أسمه وأنه يشهدُ الشهادتين وأسماء الأئمة عليهم السلام بالتربة الحسينية. يعني يُستحبُّ أن يُكتب اسم الميّت وشهادته الشهادتين وأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام على ما يذكره المصنف رحمه الله آنفاً ، والرواية الدّالة على ذلك منقولة في كتاب الوسائل: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في الاحتجاج عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن صاحب الزمان عليه السلام أنَّه كُتِبَ إليه: قد رُوِيَ عن الصادق عليه السلام أنَّه كُتِبَ على إزار إسماعيل إبنه : إسماعيل يشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، فهل يجوز لنا أن نكتبَ مثلَ ذلك بطين القبر أو غيره ؟ فأجابَ : يجوز ذلك ، والحمدُ لله ويُستحبُّ كتابة أنَّ الميت يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله**)[180].

---

[179] ـ منهاج الصالحين:٨١.

[180] ـ الجواهر الفخرية: ٤٠٧/١.

وكذا عندَ التشييع يستحبُّ عندَ حمل الميّت قول: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآل محمد[181]

ونقل السيد الشهيد محمد الصدر روايةً من الوسائل، في كتابه فقه الأخلاق، قوله : (**بسم الله وبالله وصلَّى الله على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**)[182] .

وهذه خصوصية لم ينلها نبيٌ قبله ولا مرسل صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[181] ـ ينظر: منهاج الصالحين: ٨٧.

[182] ـ فقه الأخلاق:١/١٢٤ ــ ١٢٥.

كتاب الصلاة:

الصلاة معراج المؤمن، وبها يتصل المؤمن بالملكوت الأعلى. وعدت الصلاة من أركان الدين الأساسية، إذ كل دين قد خصص منهجا لتربية أصحابه، ودين الإسلام قد جعل العبادة على رأس المنهاج التربوي ووضع الصلاة في قمة ذلك المنهج[١٨٣])

وللصلاة أركان وسنن وآداب ومن آدابها ما يرجع: **(إلى وصف المصلي، بأن يكون حاضر القلب، خاشع القالب، مستديم الذكر،صائنا عن الالتفات إلى غير المعبود، مع ما له من الأوصاف الظاهرية المعهودة... لا ينال سر الصلاة إلا بحفظ الأدب، فالآداب علل معدة، وأسباب ممتدة لنيل نبذا من أسرارها)**[١٨٤])

وبذلك تكون الصلاة عمود الدين وصلة العبد بربه، ومع ذلك ففيها نجد أجزاءا وسننا وآدابا مرتبطة برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم وبذلك يعرف عظمة قدره وعلو ذكره وأن الله قرنه مع ذكره فصلى الله عليه و آله و سلم.

---

[١٨٣] ـ كيمياء الصلاة، الشيخ مرتضى مطهري: ١٤٩.
[١٨٤] ـ كيمياء الصلاة، جوادي آملي:٢٣٩.

الأذان والإقامة:

والأذان على الأشهر ثمانية عشر فصلاً : التكبير أربع ، والشهادة بالتوحيد ، ثمَّ بعد ذلك بالرسالة (**ويستحبُّ قول : أشهد أنَّ علياً ولي الله ، بعد الشهادة بالرسالة وذلك مضافاً إلى الشهرة عملاً وفتوى بين الأصحاب قديماً وحديثاً لدليلين: من عموم قول الصادق عليه السلام في خبر القاسم بن معاوية المروي في الاحتجاج : إذا قال أحدكم : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين عليه السلام وخصوص ما روي مرسلاً: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرَ بأن يؤذن يوم الغدير ويضاف الشهادة بالولاية لعلي عليه السلام فاعترض على النبي صلى الله عليه وآله بعض الأصحاب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ففيمَ كنّا وخصوص ما قاله الشيخ الطوسي في المبسوط : فأمَّا قول أشهد أنَّ علياً أمير المؤمنين ، وآل محمد خير البرية على ما ورَدَ في شواذ الأخبار .**

ونأخذ رواية الطوسي، وندع درايته في أنَّ تلك الأخبار شاذَّة، وذلك لكفاية مثل ذلك في الاندراج تحت عموميات التسامح في أدلَّة السنن، وهكذا رمى الصدوق قدس سره رواة هذه الأخبار بالغلو غيرُ مضّر، لما ثبتَ أنَّ الصدوق يرمي بالغلو سريعاً حتى لمن لا يقول: بسهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كادَ أن ينعقد على عدمه إجماع الشيعة

باستثناء الصدوق ، فرواية الصدوق معتبرة، ودرايته للقرينة الخارجية غير معتبرة)[185].

والأذان مصدر الفعل أذّنَ، يستعمل في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع، والمؤذِنُ كلُّ من يعلم شيئاً نداءً، قال تعالى : **((ثمَّ أذَّنَ مؤذنٌ أيتها العير))** (يوسف: ٧٠)[186] و جاء في الكشاف : **(ثمَّ أذَّنَ مؤذنٌ : ثمَّ نادى منادٍ يقال : آذنه أعلمه ، وأذّنَ أكثَرَ الإعلام ومنه المؤذِن لكثرة ذلك منه . رُويَ أنَّهم ارتحلوا، وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثمَّ أمرَ بهم فأدركوا أو حبسوا ، ثمَّ قيلَ لهم ذلك)**[187]

فبهذا يظهر أنَّ الأذان هو النداء لعبادة الله سبحانه وتعالى، والإقرار بمضامينه وفقراته، وهي توحيد الله تعالى والشهادة بالرسالة لرسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بولاية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وللرسالة عدَّة مستويات : **(كلُّها معنونة بعنوان الإسلام، فالرسالة الظاهرية هي من أجل الإسلام الظاهري الذي يحقن به الدم، ويصان به المال والفرج، ويتفق فيه المسلمون بشهادة التوحيد والرسالة والقرآن الكريم، والرسالة الأخرى هي دعوة إلى الله سبحانه من أجل الإسلام الحقيقي ومن درجات هذا الإسلام: التسليم والرضا بكل ما قضى الله وقدَّر، ومن درجاته إيكال التدبير والفعل في الخلق كله لله عزَّ وجَل ، قال**

---

[185] ــ شرائع الإسلام، الشيخ الحلي:١/ ٦٥.
[186] ــ ينظر: معجم مفردات ألفاظ القران:١٠.
[187] ــ الكشاف:٣٩٨/٣.

الله تعالى: (إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهمُ الجنَّةَ) (التوبة : ١١١) ، وقال : (ثمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)(فاطر: ٣٢)، وقال: (وممن خلقنا أمَّةً يهدون بالحقِّ وبه يعدلون)(الأعراف : ١٨١)[١٨٨]

أمَّا الإقامة فهي من أقام بخلاف أجلسَ ، وأقام للصلاة : نادى لها، و **(يُستحبُّ قبل الشروع في الصلاة الأذان والإقامة وإنّما جعلهما من الكيفية خلافاً للمشهور من جعلهما من المقدِّمات، نظراً إلى مقارنة الإقامة لها غالباً، لبطلانها بالكلام ونحوه بينها وبين الصلاة وكونها أحد الجزأين فكانا كالجزء المقارن، كما دخلت النية فيها معَ أنّها خارجة عنها، متقدِّمة عليها على التحقيق)**[١٨٩] ثمَّ علَّق الأستاذ وجداني فخر موضحاً قول المصنف قوله : **(إنَّ المصنف رحمه الله جعلَ الأذان والإقامة من كيفية الصلاة ، والحال جعلهما المشهور من مقدّمات الصلاة بالنظر إلى أنَّ الإقامة مقارنة للصلاة وأيضاً لبطلان الإقامة لو فُصلَ بينها وبين الصلاة بالتكلم وغيره . فإذا ناسب كون الإقامة من كيفية الصلاة بالدليلين فهي جزء الأذان والإقامة، فيكون الأذان أيضاً مناسباً لأنْ يُعَد من كيفية الصلاة)**[١٩٠].

---

[١٨٨] ـ فقه الأخلاق:١٨٩/١ ـــ ١٩٠.

[١٨٩] ـ الجواهر الفخرية:١٨٦/٢ ـــ ١٨٧.

[١٩٠] ـ المصدر نفسه.

ويستدلُّ الشيخ باقر الإيرواني في كتابه دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على ذلك بقوله: (**أمَّا استحباب الأذان والإقامة فمن المسلَّمات . وتدلُّ عليه صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا أذَّنت وأقمت صلّى خلفك صفّان من الملائكة وإذا أقمت صلّى خلفك صفٌ من الملائكة، وغيرهما ومقتضى إطلاقها الشمول للمرأة والسفر والفرادى والمرض والقضاء أيضاً، هذا وقد قيلَ بوجوبها في الجماعة وفي الصبح والمغرب استناداً إلى ظهور بعض الروايات التي لا بدّ من رفع اليد عنها بصراحة صحيحة صفوان عن أبي عبد الله عليه السلام : والأذان والإقامة في جميع الصلوات أفضل. هذا مضافاً إلى أنّهما لو كانا واجبين لاشتهر ذلك وشاع لشدّة الابتلاء ولمّا اختصَّ القول بالوجوب فنادر**)[١٩١]

ويذكر الشيخ الصدوق علة الأذان بقوله : (**إنَّ الله العزيز الجبار عرجَ بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى سمائه سبعاً أمَّا أوّلهن فبارك عليه والثانية علّمه فيها فرضه فأنزل الله العزيز الجبار عليه محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت محدقة حول عرشه تبارك وتعالى تغشي أبصار الناظرين أمّا واحد منها فاصفر فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة ، وواحد منها احمرَّ فمن أجل ذلك احمرّت الحمرة وواحد منها ابيض فمن أجل ذلك ابيض البياض ، والباقي على عدد سائر ما خلق من الأنوار والألوان في ذلك المحمل حلقٌ وسلاسل من فضّة فجلسَ**

١٩١ ـ دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: ١/٢٠٨ ـــ ٢٠٩.

عليه ... ثمَّ عرج إلى السماء الثانية فلمّا قربَ من باب السماء تنافرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرَّت سجدًا وقالت سُبوحٌ قدّوس ربِّ الملائكةِ والروح ما أشبه هذا النور بنور ربّنا فقال جبرائيل عليه السلام أشهدُ أن لا إله إلا الله ، أشهدُ أن لا إله إلا الله فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت : يا جبرئيل من هذا الذي معك ؟ فقال: هذا محمدٌ صلى الله عليه وآله قالوا وقد بُعث ؟ قال: نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فخرجوا إليَّ شبه المعانيق فسلّموا عليَّ وقالوا: اقرىء أخاك السلام فقلت هل تعرفونه ؟ قالوا نعم وكيفَ لا نعرفه وقد أخذَ الله ميثاقَك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا وإنا لنتصفح وجوه شيعته في كلِّ يومٍ خمساً يعنون في كل وقت صلاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمَّ زادني ربّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأول وزادني حَلَقاً وسلاسل

ثمَّ عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء ثمَّ خرَّت سجداً وقالت سبوح قدوس ربِّ الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربّنا ؟ فقال جبرئيل عليه السلام أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت : مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر ، محمدٌ خاتم النبيين وعليٌ خير الوصيين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلّموا عليَّ وسألوني عن أخي علي فقال : هو في الأرض خليفتي أو تعرفونه؟ قالوا نعم وكيف لا نعرفه وقد نحج البيت المعمور

في كلِّ سنةٍ مرَّة وعليه رق أبيض فيه اسم محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة ، وإنَّا لنبارك على رؤوسهم بأيدينا ، ثمَّ زادني ربي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه شيئاً من تلك الأنوار الأُول وزادني حَلَقاً وسلاسل ...)[192].

وعند أهل المعرفة الأذان **(إعلامٌ لقوى الملك والملكوت في الإنسان الكبير والصغير للتهيؤ للحضور في جناب الحق تعالى، والإقامة إحضارها وإقامتها في محضر القدس الكبريائي جلَّ وعلا، فبالتكبيرات الأولية يعلن عجز الموجودات عن القيام بالثناء على الحق تعالى ويُعلَم قصورها عن لياقة الحضور لتستعد للتنبه إلى تذللها وخضوعها وخشيتها وخوفها وخشوعها لعلها تقع مورداً للتوجه، وبنفي الإلوهية الذاتية ونفي الإلوهية الفعلية عن الغير وقصرها على الذات المقدّسة ينفي استحقاق المحامد والثناءات عن الغير ويقصرها على الحق وبالشهادة برسالة النبي الخاتم في الغيب والشهادة يتوسل إلى المقام المقدّس للشفيع المطلق لِينهي هذا السلوك الإلهي بمصاحبة تلك الذات المقدّسة التي هي مقام الولاية المطلقة، ويرتقي إلى معراج الوصول، كانَ شيخنا العارف الكامل روحي فداه يقول : الشهادة بولي الله مضّمنة بالشهادة بالرسالة ؛ لأنّ الولاية باطن الرسالة فالمقام المقدّس الولوي أيضاً مصاحب هذا السلوك. وفي الحديث: بعليٍ قامت الصلاة، وفي الحديث: أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، فالسالك إلى الله إذا أعلنَ قصر**

---

[192] ــ علل الشرائع،الشيخ الصدوق:١/ ٢٩٩ ــ ٣٠١.

الصلاة والمحمدية على ذات الحقّ تعالى واختار الرفيق والمصاحب كما قيل : الرفيق ثمَّ الطريق ، يعلن التهيؤ إلى الصلاة بقوله : حيَّ على الصلاة)[193].

نعم ، يهاجر المؤمن إلى الله سبحانه وتعالى، كما فعلَ لوطٌ عليه السلام قال سبحانه: **(وقال إنّي مهاجرٌ إلى ربي إنّه هو العزيز الحكيم)** (العنكبوت : ٢٦) ويلتجئ إلى سرّ ذلك الإله العظيم ونبيه المعظَّم الذي أُعطيَ أثنين وسبعين حرفاً من السر الأعظم ، فقد **(ذكرت عدّة روايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام على أنَّ اسم الله الأعظم مكون من ثلاثة وسبعين حرفاً قد استأثرَ الله منه بحرفٍ واحد ومنها الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أُعطِيَ حرفين ، كان يعمل بهما، وأُعطيَ موسى عليه السلام أربعة أحرف وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، وأعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين، وإنَّ الله تبارك وتعالى جمعَ ذلك كلَّه لمحمد صلى الله عليه وآله وإنَّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعين حرفاً، وحُجبَ عنه حرفٌ واحد)**[194]

إنَّ الأذان هو نداء الخالق للمخلوق، لكنَّ العاشق لا ينتظر النداءَ من محبوبه بل يذهب إليه قبل النداء، فصلاة الليل ليست واجبة لكنَّ لقاء العاشق بالمعشوق لابدَّ وأن يكونَ مستمراً، ومن المعروف عندنا أنَّ الحبيب

---

[193] ـ صلاة العارفين، السيد الخميني:١٤٣ ــ ١٤٤.
[194] ـ الاسم الأعظم، عبد الوهاب المحسن: ٥٩.

يحبُّ الجلوس مع حبيبه طويلاً ويكلِّمه ويقضي وقتاً معه ، قال تعالى: **((يا أيها المزّمل قمِ الليلَ إلا قليلا))** (المزمل :١-٢)

وقد كان واجباً على رسول الله صلى الله عليه وآله التنفل والتهجد في الليل ، قال تعالى : **((ومن الليل فتهجَّد به نافلةً لك عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاماً محموداً))** (الإسراء :٧٩)[١٩٥]. والذي أشارت إليه الآية المباركة أنَّ وجوب التهجد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصراً؛ ذلك أنَّ الجار والمجرور (لك) جيء به للحصر، أي : إنّه خاصٌ بك .

ويمكن القول إنّ النداء عامٌ، بل ليس له صلى الله عليه وآله ؛ ذلك أنَّ الألف واللام موصولة في كلمة " المزَّمل" فيكون المعنى : يا أيها الذي تزّملت قم الليل، لأنّ الألف واللام لا تُوصل إلا بالصفة الصريحة أعني المشتق الذي يشبه الفعل في التجدد والحدوث شبهاً صريحاً اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبه[١٩٦]

والمُزَّمِّل – بكسر الميم– اسم فاعل من الفعل الرباعي " تزملَّ" فيصح تطبيق القاعدة اللغوية فيها ، وبهذا لا تمتنع إرادة العموم من اللفظ .

ومن الممكن أن تكون الألف واللام للحقيقة – وهذه الآراء ليست جزمية بل قابلة للنقاش– أي حقيقة المتكاسل عن العبادة، كقوله تعالى : **(وجعلنا**

---

[١٩٥] ـ تفسير القران العظيم: ابن كثير:٢٤٩/٨.
[١٩٦] ـ ينظر : شرح ابن عقيل: ١٥٢/١.

من الماء كلَّ شيءٍ حيٍ)، أو للعهد الذهني، ومن العلماء من نفى أنَ الأمرية من الفعل(قم) لوجود (أو) التي تدلُّ على التخيير، أي: أنت مخير بين قيام نصف الليل أو ثلثه ، جاء في التبيان للشيخ الطوسي : (**قوله : قم الليل إلا قليلا . أمرٌ من الله للنبي صلى الله عليه وآله بقيام الليل إلا القليل منه وقال الحسن : إنّ الله فرض على النبي والمؤمنين أن يقوموا ثلثَ الليل فما زاد، فقاموه حتى تورّمت أقدامهم ثمَّ نسخ تخفيفاً عنهم ، وقال غيرُه هو نفلٌ لو كان فرضاً لما كان مخيراً في مقداره – ذكره الجبائي–**)[197]

ويجوز الأمر مع ترك التخيير ، كقولنا : تزوّجْ هنداً أو اختها ، وعلى هذا لا يؤخذ بقول الجبائي .

واستحباب صلاة الليل مؤكَّدٌ فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في استعراضه لوصايا على لسان جبرائيل عليه السلام قوله : وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننتُ أنَّ خيار أمتي لن يناموا ، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : ليس من شيعتنا من لم يصلِ صلاة الليل.[198]

فالنداء – في الأغلب– يكون للبعيد، فالعرب تستعمل (يا) النداء لأن الألف حرف مد يُمدُّ بها الصوت، ولعلَّ القرب المحمدي من الباري تعالى

---

[197] ــ التبيان في تفسير القران:١٦٢/١٠ ــ ١٦٣.

[198] ــ ينظر: خزانة الأسرار في الختوم و الأذكار: ٣٦٠ ــ ٣٦٢.

كان سبباً في توجه الخطاب فقط للمؤمنين بقوله : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما .

والحبيب يعطي للمحبوب ما يريد، روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن: (**ثابت البناني قال: كنت حاجّاً وجماعة عبّاد البصرة مثل أيوب السجستاني وصالح المري وعتبة العلّام ومالك بن دينار وعتبة الفارسي .. وقد اشتدَّ بالناس العطش لقلة الغيث ففزع أهل مكة والحجاج يسألونا أن نستقي لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها فمنعنا الإجابة ، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد اقبل وقد اكبرته أحزانه واقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أطوافاً ثم أقبل علينا فقال : يا مالك بن دينار ويا ثابت بن دينار و يا أيوب السجستاني و يا صالح الأعمى. فقلنا لبيك وسعديك يا فتى ، فقال : أما فيكم أحدٌ يحبه الرحمن ؟ فقلنا : يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال : ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحدٌ يحبه الرحمن لأجابه، ثمَّ أتى الكعبة فخرَّ ساجداً، فسمعته يقول في سجوده : سيدي بحبك لي إلا سقيتهم الغيث، قال : فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القِرَب، فقلت: يا فتى من أين علمت إنه يحبك ؟ قال : لمّا استزارني علمت أنه يحبني ، فسألته بحبه لي فأجابني ثمَّ أنشأ يقول :**

مَن عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فذاك الشقي

ما ضرَّ في الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي

ما يصنع العبد بغير التقى   والعِزُ كل العز للمتقي(١٩٩)

فالقرب من الله تعالى يوجب قضاء الحوائج؛ لأن المحبوب قدّم للحبيب فمن الواجب عقلاً النظر في كلِّ ما يطلبه المحب.

والحقُّ أنَّ النص الكريم يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاستعداد وقبول مهمة كبيرة، ولكنَّ الخطاب من نوعٍ آخر فلم يقل : يا أيها النبي ، أو يا أيها الرسول بل قال يا أيها المزّمل تنبيهاً إلى أنَّ هذا الوقت ليس زمناً للانزواء وترك البناء الروحي بل وقت عمل وتأسيس(٢٠٠)

أمَّا الإقامة للصلاة (**بمثابة البشارة بمجيء وقت اللقاء الإلهي ، وهي طلبٌ من النفس بالاستعداد للصلاة وهي شكلٌ من أشكال النية ، وقد وَرَدَ : إنك حين تقوم بالإقامة فكأنّك بالصلاة)**(٢٠١).

والقيام عن الشيء بمثابة الإعراض عنه أو قل إنّه معنىً. مرادف للقيام، فكذا المصلي يترك كلَّ شيء ويقوم لله تعالى.

ويصف السيد الخميني الإقامة كصفوف الجيوش الملَكية والملكوتية، وذكرُ صيغة الجمع في قوله تعالى : (إياك نعبدُ وإياك نستعين) تدلُّ على أنَّ المؤمن وحدَه جماعة(٢٠٢) .

---

١٩٩ ــ العشق الطاهر:٤٠.

٢٠٠ ــ ينظر: الأمثل في تفسير القران المنزل:٥٢٠/١٤

٢٠١ ــ فقه الأخلاق:١٩٢/١/١.

٢٠٢ ــ ينظر: صلاة العارفين:١٤٤ ــ ١٤٥.

التشهد:

التشهد مصدر الفعل شَهِدَ، والشهادة على قسمين : بصرية – حضورية– وقلبية ٠ بالبصيرة ، وشَهِدَ المعركة فهو شهيد إذا كان حاضراً فيها ، والشهادة بوحدانية الله هي الإقرار له سبحانه ، قال تعالى : ((**شَهِدَ الله أنْ لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم**)) (آل عمران : ١٨) والشهادة من الله بوحدانيته هي إيجاد ما يدلُّ على وحدانيته في العالم ، وفي نفوسنا ، قال الشاعر :

ففي كلِّ شيءٍ له آيةٌ   تدلُّ على أنَّه واحد[٢٠٣]

فمن هنا نحن نشهد بوحدانية الله ونفي الشركة عنه، وكذا نشهد برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله و سلم.

ومن الملفت أنَ التَشَهُد على زنة التَفَعُل وهذه الصيغة تفيد المبالغة، وهذا يعني أن الشهادة بالبصيرة والبصر بل بكلِّ ما نراه من البدائع اللامتناهية .

ويجب فيه ثلاث فقرات وهنَّ : الشهادة بالتوحيد والشهادة بالرسالة والصلاة على النبي وآله، لعلَّ الصيغة الصرفية المذكورة لوجود المستحبات فيه أو لمضمونه العالي[٢٠٤]

---

[٢٠٣] ـ ينظر: معجم مفردات ألفاظ القران:٢٧٥.

[٢٠٤] ـ ينظر: فقه الأخلاق:١/٢٠٠.

جاء في المنهاج : **(وكيفيتُه على الأحوط أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد)**[٢٠٥]

والتشهد واجب عقب الركعة الثانية التي تمامها القيام من السجدة الثانية ، جاء في الجواهر الفخرية : **(ثمَّ يجب التشهد عقب الركعة الثانية التي تمامها القيام من السجدة الثانية وكذا يجب آخر الصلاة إذا كانت ثلاثية أو رباعية)**[٢٠٦]

وقد دلّت الروايات من أهل البيت عليهم السلام على وجوبه وكيفيته ، أمّا الدليل على وجوبه ، فـ**(صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام : إذا قمتَ في الركعتين من الظهر أو غيرها فلم تتشهد فيهما فذكرتَ ذلك في الركعة الثالثة قبلَ أن تركع فاجلس وتشهّد وقُم فأَتم** صلاتك)[٢٠٧] وأمّا دليل كيفيته فـ**(صحيحة محمد بن مسلم : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام التشهد في الصلوات ؟ قال : مرتين ، قلت كيف مرتين؟ قال: إذا استويت جالساً فقل : أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه . ثمّ تنصرف . وصحيحة أبي بصير وزرارة : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنَّ الصلاة على النبي**

---

[٢٠٥] ـ منهاج الصالحين: ١٨٠

[٢٠٦] ـ الجواهر الفخرية:٢٧١/٢.

[٢٠٧] ـ دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: ٢٤٥/١.

محمد صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة إذا تركها متعمداً فلا صلاة له)[٢٠٨]

والشهادة من الله سبحانه والملائكة وأُولوا العلم في قوله تعالى: ((**شهِدَ الله أنَّه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**))(آل عمران: ١٨). معناها أنَّهم شَهِدوا أنَّ الدين عند الله تعالى الإسلام. وقال بعضُ المفسرين أن الشهادة هي الكشف عن وحدانية الله سبحانه، قال الزمخشري(**شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصَّة التي لا يقدرُ عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما شهادة الشاهد في البيان والكشف**)[٢٠٩].

---

[٢٠٨] ـ دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: ٢٤٧/١.
[٢٠٩] ـ الكشاف: ٥٣٤/١.

سجود السهو:

السهو لغةً : خطأٌ عن غفلة ، وهو على قسمين : الأول إذا لم يكن من الإنسان جوالبُه كمجنونٍ شتمَ إنساناً ، والثاني إذا كانت جوالبه من الإنسان كالذي شَرِبَ خمراً ثمَّ ظهرَ منه منكرٌ ، والقسم الثاني مأخوذٌ به ، ومن الثاني ذمُّ الله تعالى ، قوله سبحانه : (**ويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**) (الماعون : ٥)

والتطبيق العملي للصلاة وإقامتها كما أراد الله تعالى، فإذا كان المصلي يدفع اليتيم ويمنع الزكاة – الماعون- ويسهو ويعبث بلحيته حال الصلاة أو ثيابه أو يلتفت، أو يطلب الرياء ويسعى له فعلى أساس ذلك يأتي جواب الله تعالى فويلٌ[٢١٠]

ومن مظلومية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ علماء أبناء العامَّة وبعض علماء الخاصة كالشيخ الصدوق، ومن العامة كالزمخشري في كشافه قالوا بسهوه [٢١١].

وهذا لا يثبتُ لكونه معصوماً ولا ينطقُ عن الهوى كما أثبتنا ذلك في الفصل الأول في مبحث العصمة ، ثمَّ إنَّ الآية تخاطبه وتقول له:(**أريتَ الذي يُكَذِّب بالدين فذلك الذي يدّع اليتيم**) (الماعون : ١-٢) وهذه الصفات كلُّها لا يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم

---

[٢١٠] ـ الكشاف: ٦/٤٤٠.
[٢١١] ـ المصدر نفسه:١/٤٤٠ ــ ٤٤١.

مصداقاً لها، فهو خطابٌ على وجه التعجب من الكافر الذي يدفع اليتيم ولا يعطيه طعاماً أو حقاً من حقوقه[٢١٢].

ولفظة (ذلك) تدلُّ على الإشارة إلى البعيد، ومن خلال اللغة يظهر أنَّ النبي لا يسهو؛ لأن السهو خطأٌ عن غفلة مثلَ ما قال الراغب.

وسجدتا السهو واجبتان (**وفي من تكلَّمَ ساهياً أو سلَّمَ في غير موضعه أو شكَّ بين الأربع والخمس ، وقيلَ في كلِّ زيادة أو نقيصة إذا لم يكن مبطلاً – لو لم يكن ركناً– وموضعهما بعد التسليم للزيادة أو النقصان ، وقيل قبله وقيل بالتفصيل والأول أظهر**)[٢١٣]

والسجود للزيادة أو النقصان على نحو الاستحباب، قال السيد الخوئي : (**يجب سجود السهو للكلام ساهياً وللسلام في غير محله ، وللشك بين الأربع والخمس كما تقدَّم ، ولنسيان التشهد والأحوط وجوباً سجود السهو لنسيان السجدة وللقيام في موضع الجلوس أو الجلوس في موضع القيام ، كما أنَّ الأحوط استحباباً سجود السهو لكلِّ زيادة أو نقيصة**)[٢١٤]

ويُستدلُّ على سجدتي السهو للشاك بين الأربع والخمس بعد ذكر السجدة الأخيرة بصحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام : (**إذا لم تدرِ خمساً صلّيتَ أم أربعاً فاسجد سجدتي السهو بعد تسليمك وأنت**

---

[٢١٢] ــ ينظر: التبيان في تفسير القران:١٠/٤٠٦.
[٢١٣] ــ شرائع الإسلام:١/١٠٣ ــ ١٠٤.
[٢١٤] ــ منهاج الصالحين:١/٢٣٦.

جالس ثمّ سلّم بعدهما. والتقييد بما بعدَ ذكر السجدة الأخيرة لاستظهاره من التعبير بالفعل الماضي – صلّيت–)[٢١٥].

والسهو ناشئٌ من الغفلة وكون الذهن سارحاً شرقاً وغرباً ، وعدم التوجه ينشأ من أسباب[٢١٦]

١- إهمال المصلي ذلك بعدم التوجه والخشوع والمهم عنده أداء الحركات من قيام وقعود.

٢- الاهتمام بالأمور الاقتصادية من معيشة ونحوها وكذا الأمور الاجتماعية.

٣- الإلحاح الذهني بسبب وجود مشكلة تقلقه وتخرجه عن طبعه، وعندئذٍ فمن الطبيعي أن تلح على ذهنه وتشغله.

٤- من التوفيق الذي يرزقه الله تعالى الإنسانَ هو التوجه والخشوع، وحرمانه منهما ناتجٌ من بعض الذنوب والمعاصي.

إنَّ الشك والسهو ليسا ناتجين من الإنسان أو المكلَّف باختياره، لكنَّ أسبابَه منه، ويمكن أن تزول هذه الأسباب المنتجة لزوال الشك والسهو، – نقصٌ معنوي – هي أمور[٢١٧]

الأول: الراحة الدنيوية، يقال أرح ذهنك لكي لا يكثر سهوك.

---

[٢١٥] ــ دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي:١٦٧/١.

[٢١٦] ــ ينظر: فقه الأخلاق:٢١٤/١ ــ ٢١٥.

[٢١٧] ــ منة المنان في الدفاع عن القران:٢٢٨/١.

الثاني : التكامل في درجات اليقين ، فإنَّ حصول ذلك يكون متعذراً ونادراً.

الثالث : ما فهمه صاحب الميزان – قُدّسَ سرُّه– حيثُ قال: غافلون لا يهتمون بها ، ولا يبالون أن تفوتهم بالكلية أو في بعض الأوقات أو تتأخر من وقت فضيلتها وهكذا.

أقولُ: أي ، يكون حال المكلَّف الاقتصار على الواجبات وترك المستحبات ، وفيه نقطة قوة ، وهي أنّ ما ورد من السؤال عن الوجه الأول لا يأتي هنا ؛ لأنَّ معناه : أنَّهم مصلون ، ولكنهم متسامحون في صلواتهم وهذا التسامح لا يكون إلا من أجل الاهتمام ببعض أمور الدنيا ، كما قال في الدعاء : لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمنا

إذن فالسهو مولودٌ من رحم التفكير في الدنيا والانشغال بها وبزخرفها وزبرجها وزينتها .

وصورة سجود السهو: بسم الله وبالله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته[٢١٨]

[٢١٨] ـ منهاج الصالحين: ٢٣٧/١.

القصر والتمام:

يقصر المسافر في الرباعية إلى ركعتين ، لكنه يتخير بين القصر والتمام في أماكن أربعة وهي المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة وحرم الإمام الحسين عليه السلام[219]

وقصر الصلاة جعلها قصيرةً بترك بعض أركانها ترخيصاً، قال تعالى: (**فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصلاة**) (النساء: ١٠١)

وذكرَ صاحب الجواهر أنَّ الإتمام أفضل – في الموارد الأربعة– والمستنَد أخبار كثيرة وفي بعضها من مخزون علم الله (**عن حمَّاد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال : من مخزون علمِ الله الإتمام في أربعة مواطن : حَرَم الله ، وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وحرم الحسين بن علي عليهما السلام**)[220]

إنّ التخيير في الأماكن المذكورة بين القصر والتمام يدلُّ على عظمة المكان معنوياً، فمسجد الرسول ببركته وما فيه من ألطاف صار متكاملاً معنوياً، ولهذا التخيير أسبابٌ منها[221]

[219] ـ منهاج الصالحين: ٢٥٥/١.
[220] ـ الجواهر الفخرية:٥٤٥/٢.
[221] ـ فقه الأخلاق:٢٦٥/١.

أولاً: التعارض بين مصلحة التمام المنتجة لقوة المقدمات وسرعة الإنتاج وبين مصلحة القصر المنتجة لكتم السر العميق عن الآخرين.

ثانياً: إنَّ أماكن التطهير كلُّها مقدسة، الأمر الذي يرشدنا إلى أنَّ التخيير إنما هو نافذٌ في الأماكن المقدَّسة معنوياً، إمَّا لأجل احترامها بالزيادة بالعمل عند اختيار التمام ، وإمّا باعتبار إن الفرد يكون أعلى همةً و أقوى صبراً فيُعطى فرصة استغلال هذه الفرصة بالتمام أو غير ذلك من المصالح الممكنة .

ثالثاً: إنّ أماكن التخيير غير محددة؛ لأن الأماكن كلها في نظر الإيمان العالي مقدسة، لا يختلف مكان عن مكان، ولا درجة عن درجة. إذن يبقى التخيير بين القصر والتمام قائماً معنوياً في كل زمان ومكان كل ما في الأمر أنّ التمام أفضل من القصر، باعتبار كونه أكثر تسبيباً، وأسرع إيصالاً.

إذن فالمرحلة التي يصلُ إليها المكان من القدسية والتطهير ما هي إلا ببركة صاحبه أو الموجود فيه ، فلو نلاحظ أن الإضافة في قولنا: (مسجد الرسول) نجد الإضافة بمعنى اللام، أي مسجدٌ للرسول ، وإضافته له صلى الله عليه وآله وسلم تدلُّ على الكمال .

كتاب الصوم:

معنى الصوم لغة الإمساك، واصطلاحا هو الإمساك عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع وإنزال المني والكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها، والصيام درجة من الترفع عن المادة والشهوات والانقطاع إلى الحق تعالى، والصيام في شهر رمضان، وشهر رمضان أنزل فيه القرآن في ليلة القدر التي (**فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ أمراً من عندنا**) ، جاء في فروع الكافي : (**عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن المسمعي أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان : فأجهدوا أنفسَكم فإنَّ فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال وفيه يُكتب وفد الله الذين يفدون إليه وفيه ليلةٌ العمل فيها خيرٌ من ألف شهر**)[٢٢٢]

وروى الشيخ الصدوق : (**وقال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، قال الله تبارك وتعالى : الصومُ لي وأنا أَجزي به ، وللصائم فرحتان حينَ يفطر وحين يلقى ربَّه عزَّ وجل ، والذي نفسُ محمدٍ بيده لَخُلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**)[٢٢٣] لقد ذكَرَ الفقهاء ومنهم السيد الخوئي جملة من المفطرات منها (**الكذب على الله ورسوله صلى**

---

[٢٢٢] ـ فروع الكافي:٤/٤٢٥.

[٢٢٣] ـ من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٠٧.

الله عليه و آله و سلم أو على الأئمة عليهم السلام بل الأحوط إ لحاق سائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بهم)[٢٢٤].

وتدلُّ موثقة أبي بصير على مفطرية الكذب ، **(عن أبي عبد الله عليه السلام إنَّ الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام يفطر الصائم. هذا ولكن المناسب حمل ذلك على الإخلال بمرتبة القبول والكمال لا على الفساد حقيقةً بقرينة حصر المفطر في صحيحة محمد بن مسلم المتقدّمة في ثلاث– الطعام والشراب ،والنساء ، والارتماس في الماء–**

وإذا قيل : إنَّ دلالة الصحيحة على نفي وجود مفطر آخر بالإطلاق فَيُقَيّد.

كان الجواب: إنَّ لسانها يأبى قبول التقييد كما هو واضح ، ومما يؤكد كون عدم الناقضية حقيقية موثقة أبي بصير، يقول : الكذبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم. قال: قلتُ له : هلكنا. قال : ليسَ حيثُ تذهب ، إنّما ذلك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام .

فإنَّ ناقضية الكذب للوضوء ما دامت ليست حقيقية فبقرينة وحدة السياق يثبت كون المقصود ذلك في مفطريته للصومِ أيضاً .

---

٢٢٤ ــ منهاج الصالحين:١/٢٦٤.

وعليه فالحكم بمفطرية الكذب لا ينبغي أن يكون إلا على مستوى الاحتياط تحفظاً من مخالفة المشهور)[٢٢٥]

وقال المحقق الحلي:**(وهل يفسد- يعني الكذب على الله ورسوله وعلى الأئمة عليهم السلام الصوم بذلك؟ قيل: نعم، وقيل : لا، وهو الأشبه)**[٢٢٦]

وقد علَّقَ السيد صادق الشيرازي على جملة (وهو الأشهر) بقوله:**(بل هو حرامٌ مغلَّظ في نهار رمضان)**

فالإفطار هو الركون والخضوع للدنيا والشهوات **(وكف النفس عنها والصبر على تركها ، سواءٌ منها اللذائذ المحرَّمة على مستوى الفرد الإيماني ، أو اللذائذ والاندفاعات النفسية التي يكون في تركها تكاملٌ معنوي مُرضٍ لله عزَّ وجل)**[٢٢٧]

والله تعالى لم يُبيِّنْ مقدار الأجر؛ ذلك أنّه يتفاوت الأجر ومستوى الصائم ومقدار إخلاصه والتزامه، وهذا يتبيَّنُ من الحديث القدسي **(الصوم لي وأنا أجزي به)** فالجزاء مطلق ، وعدم ذكر المفعول يدلُّ على الإطلاق ، كقوله تعالى : **(ومما رزقناهم ينفقون).**

---

٢٢٥ ــ دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي:٣٠٥/١ ــ ٣٠٦.
٢٢٦ ــ شرائع الإسلام:١٦٥/١ ــ ١٦٦.
٢٢٧ ــفقه الأخلاق:٢٩٥/١.

فإذا كان الفعل مبنياً للمعلوم في قوله (الصوم لي وأنا أَجزي به) فهذا يدلُّ على أنَّ الجزاء من الله، فكما كان الصوم مخفياً عن الآخرين يكون الجزاء أيضاً مخفياً عنهم.

إمّا إذا كان مبنياً للمجهول فهذا يعني أنَّ العبد بصومه يُقدِّم جزاءً أو شكراً لأنعمه سبحانه.



كتاب الخمس:

من الواجبات التي أوجبها الله تعالى لبني هاشم عوض الزكاة بدليل الكتاب والسنة والإجماع ،قال تعالى : (**واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فإنّ لله خمسَه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله**)(الأنفال : ٤١)

أمَّا السنة فقد وردت روايات كثيرة منها (**عن أبي بصير قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال من أكل من مال اليتيم ونحن اليتيم**) [٢٢٨]

لقد اختلفنا نحن الإمامية وأبناء العامَّة في مسألة في أنّ الخمس يقع في غنائم الحرب أو غيرها " فقال غيرنا بالاختصاص وبذلك لا يبقى مورد للخمس في زماننا أو يقل في حين إنَّ المعروف بيننا العموم لوجهين :

الأول: إنّ الغنيمة لغةً تعم مطلق الفائدة دون خصوص غنائم الحرب ففي القاموس في مادة غنم. غَنِمَ بالكسر الفوز بالشيء بلا مشقة –كما وردَ ذلك في قوله تعالى: ((**تبتغون عرَضَ الحياة الدنيا فعند الله مغانمُ كثيرة**)) (النساء : ٩٤)

والسياق لا يدلُّ على الاختصاص لإمكان أن يكون ذلك من باب تطبيق الكلي على بعض مصاديقه.

---

[٢٢٨]ــ الجواهر الفخرية : ٣/ ١١٣.

الثاني : الروايات الخاصّة الآتية فيما بعد إن شاء الله الدالّة على ثبوت الخمس في موارد أُخرى غير غنائم الحرب [٢٢٩]

فأما خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله، روى الشيخ الصدوق : **(وسألَ زكريا بن مالك الجعفي أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجل ((واعلموا أنّما غنتم من شيءٍ فأنَّ لله خمسَه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل))، قال : أمّا خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله وأمّا خمس الرسول صلى الله عليه وآله فلأقاربه وخمس ذي القربى فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته، فجعلَ هذه الأربعة الأسهم فيهم، وأمَّا المساكين وأبناء السبيل فقد عرفتَ أنَّا لا نأكل الصدقة ولا تحلُّ لنا فهي للمساكين وأبناء السبيل)**[٢٣٠]

إن سهم الله ورسوله ولذي القربى للذي يقوم مقام النبي وهو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، قال الشيخ الطوسي : **(وأمَّا خمس الغنيمة فإنَّه يقسم عندنا ستة أقسام: فسهمٌ لله، وسهمٌ لرسوله للنبي وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للقائم مقام النبي صلى الله عليه وآله ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس لأنَّ الله تعالى عوّضهم ذلك عمَّا أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذا كانت الصدقات مُحرَّمة على**

٢٢٩_دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي : ١/ ٣٧٨.

٢٣٠_ من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٩٠- ٢١٩.

أهل بيت الرسول عليهم السلام وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي الباقر ابنه عليهم السلام رواه الطبري بإسناده عنهما)[٢٣١]

ومن ذلك الحق المغصوب من الزهراء عليها السلام حيثُ أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله فدكاً وغصبها منها أبو بكر، وفدك كما ذُكر **(قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة وهي أرض يهودية، كان يسكنها طائفة من اليهود حتى السنة السابعة حث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على النصف من فدك، وروي أنه صالحهم عليها كلِّها فصارت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصَّة، لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثمَّ قدَّمها لأبنته الزهراء عليها السلام وكانت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وكانت وضعت وكيلاً عنها فأنتزعها أبو بكر وطرد وكيلها ولمّا تولى عمر الخلافة ردّها إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلمّا ولي عثمان بن عفان أقطعها مروان بن الحكم فلّما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان ثلثَها، وعمر بن عثمان ثلثاً ويزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام ملكه ثمَّ صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان، فلّما ولي الأمر ردّها لولد فاطمة سلام الله عليها، ثمَّ انتزعها يزيد بن**

---

[٢٣١] _التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٥/ ١٢٤.

عبد الملك من أولاد فاطمة وظلَّت في أيدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم (٢٣٢)

ومن الغريب أنّ أبا بكر يحاجج على باطله أميرَ المؤمنين عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام : **(يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال: نعم . قال : أخبرني عن قول الله عزّ وجل : ((إنّما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)) فيمن نزلت فينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم .قال : فلو أنَّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ما كنتَ صانعاً بها ؟ قال: كنتُ أقيم عليها الحد، كما أقيمه على نساء المسلمين، قال إذن كنتَ عند الله من الكافرين، قال: ولِمَ ؟ قال: لأنّك رددتَ شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله ورسوله، أن جعل لها فدكاً قد قبَضَته في حياته ، ثمّ قبلتَ شهادة إعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذتَ منها فدكاً، وزعمتَ أنّه فيءٌ للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البينةُ على من ادّعى ، واليمين على من اُدّعيَ عليه . قال : فدمدم الناس وأنكروا ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : صدق واللهِ عليٌ بنُ أبي طالب عليه السلام. ورجع إلى منزله**

قال : ثمّ دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول :

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثــةٌ ... لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطبُ

٢٣٢_الاحتجاج ، الطبرسي : ٨٥.

إنّا فقدناك فقدَ الأرض وابلها   واختلَّ قومك لمّا غبتَ وانقلبوا

قد كان جبريلُ بالآيات يؤنسنا   فغابَ عنَّا فكلّ الخير محتجَبُ

وكنتَ بدراً ونوراً يستضـــاءُ به   عليك ينزل من ذي العزةِ الكتبُ

تَجَهَمَتنا رجالٌ واستخــــف بنا   إذْ غبتَ عنَّا فنحنُ اليومَ نُغتَصَبُ

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت   منّا العيون بتهمالٍ لها سَكـبُ

قال: فرجع أبو بكر و عمر إلى منزلهما ، وبعث أبو بكر إلى عمر فدعاه ثمَّ قال له : أمَا رأيتَ مجلسَ عليٍ منا في هذا اليوم ؟ والله لَئن قعد مقعداً آخر مثله لَيُفسِدَنَّ علينا أمرنا ، فما الرأي ؟ فقال عمر: الرأي أن تأمر بقتله، قال : فمن يقتله ؟ قال : خالد بن الوليد)[٢٣٣]

إنَّ الأمة لم تعطِ حقَّ آل البيت عليهم السلام بل سلبتهم ما يملكون وسلبوا فرحةَ محبيهم ، ليتهم سلبوا عطشَ الإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

٢٣٣_الاحتجاج ، الطبرسي: ٨٧.

حقُّ رسول الله من الخمس:

يُقسمُ الخمسُ إلى ستةِ أسهم على المشهور ثلاثة منها للإمام عليه السلام وثلاثة لبني هاشم لا على نحو البسط وفي كيفية صرف السهم المبارك للإمام عليه السلام خلاف.(٢٣٤)

وحقُ الله سبحانه في الآية: **((وما غنمتم من شيءٍ فإنَّ لله خمسه وللرسول))** فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله، جاء في دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي : **(وأمَّا أنَّ الثلاثة الأولى منها للإمام عليه السلام فلصحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الإمام الرضا عليه السلام : سُئِلَ عن قول الله عزَّ وجل : ((واعلموا إنّما غنتم من شيءٍ فإنَّ لله خمسَه وللرسول ولذي القربى)) فقيل له : فما كان لله فلمن هو ؟ فقال : لرسول الله صلى الله عليه وآله وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو للإمام فقيل له : أفرأيتَ إن كان صنفٌ من الأصناف أكثر وصنف أقل ما يُصنَع به ؟ قال : ذاك إلى الإمام ، أرأيتَ رسول الله صلى الله عليه وآله كيفَ يصنع أليسَ إنَّما كان يعطي على ما يرى كذلك الإمام** (٢٣٥)

وإعطاء الخمس لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إنما لأنه باب الله وأمين الله.

---

٢٣٤ _ ينظر: دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي: ١/ ٣٩٥.

المصادر والمراجع

- أبحاث عامة في النبوات، الشيخ محمد السند
- الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي
- أخلاق أهل البيت، السيد مهدي الصدر
- الاسم الأعظم، عبد الوهاب المحسن
- أصول الكافي، الشيخ الكليني.
- أضواء على ثورة الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر.
- أعلام الهداية فاطمة الزهراء، المجمع العالمي لأهل البيت.
- أعلام الهداية محمد المصطفى، مجمع أهل البيت العالمي.
- الإمامة الإلهية قواعد في العصمة، الشيخ محمد السند.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وآخرون.
- الأنظار التفسيرية في تراث السيد الشهيد محمد الصدر، مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر
- أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر
- البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني
- تأريخ الغيبة الصغرى، السيد الشهيد محمد الصدر.
- تأريخ ما بعد الظهور، السيد الشهيد محمد الصدر
- التبيان في تفسير القران، الشيخ الطوسي

- تفسير القران العظيم، ابن كثير
- جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي
- الجواهر الفخرية، وجداني فخر.
- حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر
- خزانة الأسرار في الختوم والأذكار، السيد محمد تقي المقدم
- الخصال ، الشيخ الصدوق.
- خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، الدكتور إسماعيل علي محمد
- خلاصة معرفية، الشيخ محمد السند.
- الدائرة الاصطفائية الثانية لأهل البيت أبو الفضل العباس أنموذجا، الشيخ محمد السند.
- دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، الشيخ محمد باقر الإيرواني
- دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي المصباح اليزدي.
- دستور الصدر مجموع خطب الجمع التي ألقاها الشهيد الصدر في مسجد الكوفة العلوي الأعظم، السيد الشهيد محمد الصدر.
- روح المعاني، الآلوسي
- سلوا أمير المؤمنين من ردت له الشمس فصلى، أبو الفصل الكاشاني.
- السير إلى الله، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي
- سيرة الرسول الأعظم في نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني

- شذرات من فلسفة تأريخ الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر
- شرائع الإسلام، العلامة الحلي
- شرح ابن عقيل، ابن عقيل
- الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام
- صراط النجاة، الشيخ جواد التبريزي
- صلاة العارفين، السيد الخميني
- العشق الأبدي في سيرة والدي، السيد مقتدى الصدر
- العشق الطاهر، رياض شهيد الفتلاوي
- العقائد في القرآن من مواهب العارف السيد عبد الأعلى السبزواري، السيد إبراهيم سرور
- علل الشرائع،الشيخ الصدوق
- عوالم الإنسان ومنازله العقل العملي وقضاياه، الشيخ محمد السند
- فروع الكافي، الشيخ الكليني
- فلسفتنا، السيد محمد باقر الصدر
- قناديل العارفين، مراسلات بين السيد الشهيد محمد الصدر والشيخ محمد اليعقوبي
- كحل البصر في سيرة سيد البشر، الشيخ عباس القمي
- الكشاف، جار الله الزمخشري
- كيمياء الصلاة، الشيخ مرتضى مطهري
- كيمياء الصلاة، جوادي آملي

- ما وراء الفقه، السيد الشهيد محمد الصدر
- مبادئ وأصول المعارف الإلهية دراسة منهجية مقارنة
- مباني منهاج الصالحين، السيد تقي القمي
- مجمع البيان في تفسير القران، الشيخ الطبرسي
- مدينة المعاجز،السيد هاشم البحراني
- مركز الرصد العقائدي العتبة الحسينية المقدسة
- المسائل الأعتقادية، الشيخ محمد تقي بهجت.
- معاني الأبنية ،الدكتور فاضل السامرائي
- معجم مفردات ألفاظ القران، الراغب الأصفهاني
- مغني اللبيب، ابن هشام
- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي
- مقامات النبوة والنبي، الشيخ محمد السند
- مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي
- من لا يحضره الفقيه، الشيخ ابن بابويه القمي
- من هدي القران، السيد محمد تقي المدرسي
- منة المنان في الدفاع عن القران، السيد الشهيد محمد الصدر
- منهاج الصاحين، السيد أبو القاسم الخوئي
- مواعظ ولقاءات، السيد الشهيد محمد الصدر
- الميزان في تفسير القران، السيد محمد حسين الطباطبائي
- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضي

- نوادر الأخبار في ما يتعلق بأصول الدين، الفيض الكاشاني
- النور الأول الرسول الأعظم، الشيخ الوحيد الخراساني
- ولأي الأمور تدفن سرا بضعة المصطفى ويعفى ثراها،السيد مرتضى الرضوي.



شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ما تتضمنه من الكمال ومجمع الفضائل والمكارم وما أثرت هذه الشخصية في التأريخ الإنساني وما تركته من بصمات واضحة في جميع أرجاء المعمورة؛ لذا تسابق المؤلفون والكتّاب والباحثون لتناول هذه الشخصية بالبحث والدراسة ليكن لهم نور يستضيئون به وعلما يهتدون به. بيّد أن أغلب الدراسات والكتب المؤلفة كانت تنصب بصورة رئيسية على السيرة النبوية مؤرخة لمولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومتابعة لسيرته في مسقط رأسه مكة المكرمة مرورا ببعثته وتثبيت أركان دولته وغزواته في المدينة المنورة. وبهذا يكون الكلام تكرارا لما كتب المؤرخون. والكتب المؤلفة بين مختصر ومطول ولعل كتاب الصحيح من سيرة الرسول الأعظم للسيد جعفر العاملي الذي يقع في خمس وثلاثين مجلدا أوسع الكتب في السيرة.

ولعل الكتب التي تناولت مسيرة روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الأشباح وعالم الذر تكاد تكون نادرة ؛ لذا جاء هذا الكتاب بصفحاته القليلة مبينا لهذه المسيرة العظمى وذاكرا لإعجاز شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ذكر عظمته في موارد ذكره في الشريعة الإسلامية والفقه لا سيما في باب العبادات لما لها من أثر في تهذيب النفس ورفع درجات التكامل.